



سوء توقیت

بقلم /

إیمان عبد الواحد

الفصل الأول

زفرت داليا في توتر و هي تغادر صالة الوصول في مطار القاهرة ؛ كانت الرحلة من روما إلى القاهرة طويلة كما أن إجراءات الدخول كانت مملة و منهكة خاصةً بعد فرض إجراءات الحجر الصحي داخل جميع المطارات المصرية عقب انتشار فيروس كورونا ابتداءً من الصين و وصولاً إلى الكثير من الدول في مختلف قارات العالم .

وقف باسل مستنداً إلى سيارته و هو يتحدث في هاتفه الجوال أمام مطار القاهرة الدولي ؛ كان مشغولاً بإعطاء بعض الأوامر لمساعدته و هو يتمل في انتظار داليا التي استغرقت وقتاً أطول مما كان يتوقع في إجراءات الدخول ..

كان يكره إضاعة لحظة واحدة من وقته بعيداً عن مكتبه في المقر الإداري لمؤسسة الكاشف الاستثمارية التي ينفرد برئاسة مجلس إدارتها منذ بضعة أشهر بعد أن تقلد عمه منصب الوزارة و تفرغ له تاركاً أعمال

المؤسسة الكبيرة التي تملكها العائلة أمانة في يد
باسل .

توقف باسل عن الحديث بغتة و تعلقت عيونه بالفتاة
مشوقة القوام التي تقترب منه في خطا واثقة وهي
تسحب خلفها حقيبة متوسطة الحجم و بهت وجهه ..
فينوس التي يراها أمامه لا يمكن أن تكون هي نفس
الفتاة الشاحبة ذات مقوم الأسنان و التي كانت متيمة به
و تتبعه كظله حتى وجه لها الصفعة التي جعلتها تتعلم
درسها بصعوبة و هي تدرك أنه لا مكان لمراهقة
غبية مندفعة العواطف في حياته .

ابتسمت داليا وتألفت في عيونها نظرة انتصار و هي
ترى النظرة الذاهلة في عينيه والتي أخفاها بسرعة
و هو يلتقط الحقيبة من يدها بخفة و يلقيها في سيارته
دون حتى أن يلقي عليها التحية ثم جلس خلف عجلة
القيادة و هو ينتظر منها أن تجلس بجواره .. عقدت
داليا ذراعيها أمام صدرها و هي تنظر إليه في
استهجان فهتف باسل :

- هل تنتظرين دعوة رسمية ؟ .. اركبي .

هتفت داليا في برود :

- أنتظر أن تكون رجلاً مهذباً و تفتح باب السيارة و ترحب بي بالشكل اللائق .. من الواضح أنك لا تتعامل مع نساء راقيات أيها القروي الساذج .

نطقتها بالايطالية لكن باسل فهم كل حرفٍ نطقت به و رفع حاجبه و هو يهتف :

- قرويّ و ساذج؟! .. رحم الله جدتك الحاجة أمّنة فهي لم تعلمك كيف تتكلم امرأة مهذبة مع الرجال .. من الواضح أن نصفك الايطالي قد طغى بشدة و سنحتاج لبعض الوقت حتى نعيد تربيتك و نردك إلى الأصول و التقاليد التي لن تفهمها خواجاية مثلك إلا بصعوبة .. اركبي يا أنسة قبل أن أتحرك بالسيارة و أتركك تائهة هنا .

ظلت داليا واقفة و هي تنظر إليه في تحدٍ فزفر باسل في حرارة و هتف :

- هل تريدين طريقة لائقة ؟ .. فليكن .. سأعاملك بالطريقة التي تليق بك .

غادر باسل السيارة و دار حولها و حمل داليا بين ذراعيه بخفة و ألقاها على المقعد المجاور لمقعد القيادة قبل أن يركب السيارة و ينطلق بها و داليا تسبه في عصبية وهو يتجاهلها كما لو أنه لا يسمعها ..

زمت داليا شفقتها و هي تفكر في أن باسل لا زال يحب أن يلعب دور الذكر المسيطر على كل الأمور رغم مرور سنوات كثيرة غيرت الكثير بها لكن من المؤسف أنها لم تغير شيئاً به .. لكن آن الأوان لتعيد داليا صياغة تفكيره و تجعله يعترف بقدرتها على تغيير مستقبله و عقله و تفكيره .. و حياته كلها .

اعتدلت داليا جالسة في مقعدها و سوت هندامها بسرعة و هي تفكر في أنه لا زال يتعامل معها بنفس الخشونة كما اعتاد أن يفعل ..

لا تنكر أنها كانت مغرمة بهالة الرجولة و الكبرياء التي تشع منه و كانت معاملته الخشنة لها تثير في قلبها المراهق مشاعراً لم تكن تستطيع مقاومتها .. لكن هذا كله قد

أصبح من الماضي الآن و ستريه كم كان
مخطئاً عندما سخر من عواطفها و رفع في
وجهها كلمة لا .

أخرجت داليا سيجارة من حقيبة يدها الأنيقة
و وضعتها بين شفتيها فانتفض باسل و أسرع
يختطفها من قبل أن تشعلها و ألقاها من النافذة
و هو يهتف في حزم :

- التدخين ممنوع يا أنسة .. اعتبريه من الأمور
المحرمة حتى تنتهي رحلتك و تعودي من
حيث أتيت .

التفتت نحوه داليا و رمقته بعيونها الخضراء
التي تملأت فيهما شرارات صغيرة قبل أن
تهتف بالعربية :

- أولاً / ليس من حقك أن تتدخل في حياتي
أو أن تحدد لي ما هو المسموح أو الممنوع ..
ثانياً / هذه ليست رحلة و لا تتخيل أنني
سأمضي بضعة أيام أو أسابيع هنا ثم أعود
إلى روما .. هيهات .. أنا هنا وسأبقى
و سأضع يدي على كل ما هو من حقي و
إياك أن تقف في وجهي .. ثالثاً / إياك أن
تعاملني كما لو كنت تلك البلهاء التي عرفتها

فيما مضى .. مرت خمسة عشر عاماً كاملة
يا باسل و لا تتخيل أنها لم تفعل شيئاً لأنها
غيرت الكثير .. بي و بك .. و أنا واثقة من
أنك ستكتشف هذا عما قريب .. و ربما بأقرب
مما تتخيل .

تأملها باسل في برود .. كانت تتحدث في
هدوء الواثق من نفسه و بحزم لم يألفه من
الفتاة التي عرفها فيما مضى لكنه كان واثقاً
من أنها أصابت كبد الحقيقة عندما ادعت أن
السنوات التي مرت غيرتها فهو بالكاد كان
يعرفها .. هتف باسل في برود :

- لهجتك هذه لا تتحدثي بها مرة أخرى .. أنا لا
أتلقي الأوامر من أحد .. خاصةً إذا كان امرأة
.. و لا تتخيلي أنني سأسمح لك بأن تعامليني
بتعالى يا بنت عمي لأنني قد أحطم رأسك
الجميل هذا إذا حدثتيني بهذه اللهجة مرة
أخرى .

ابتسمت داليا .. كان يراها جميلة و لا يستطيع
أن يخفي هذا مع أنها لم ترَ نظرة إعجاب
واحدة في عينيه لكن اعترافه الذي انزلق من

لسانه بغير قصدٍ كان يرضيها .. أخرجت
سيجارة جديدة من حقيبتها و هتفت :

- نقطة و من أول السطر .. دع تكبرك
الذكوري الأعمى يا ابن العم و تعامل مع
الواقع الجديد .. أنت لم تعد شاباً في عفوانه
و أنا لم أعد تلك المراهقة التي تتذكرها ..
أنت مجرد رجل مسن فاته أوان تحقيق
أحلامه و أنا سيدة الموقف الآن .. كن واقعياً
و انظر حولك و سترى الحقيقة التي لن
يمكنك أن تنكرها .

لوى باسل شفنييه و هتف في برود :

- مسن و سيدة الموقف؟! .. هل حرارتك
مرتفعة لهذا الحد يا صغيرتي ؟ .. كيف
سمحوا لك بتجاوز إجراءات الحجر الصحي
و أنت في هذه الحالة ؟ .. لكننا نستطيع أن
نتدارك هذا الخطأ .

نظرت إليه داليا في استغراب و لم تفهم ما
الذي يرمي إليه بالضبط و لا هو أجابها عندما
سألته .. تجاهلها تماماً حتى أوقف سيارته
داخل مرآب بناية شاهقة الارتفاع تقع على
ضفاف النيل ثم نزل منها و أخرج حقيبة داليا

التي ظلت جالسة في مكانها حتى أنه هتف في فراغ صبر :

- هل ستغادرين السيارة بمفردك أم تحتاجين إلى مساعدة ؟ .. لن يروق لي أن أحملك مرتين في ساعة واحدة كما لو كنتِ كسيحة .

غادرت داليا السيارة و سارت بجواره إلى المصعد و هي تهتف في سخط :

- أين نحن بالضبط ؟ .. هذا ليس قصر أبي .

دخل باسل إلى المصعد و هو يهتف :

- اطمئني على قصر الأسرة فلا زال كما هو .. و الأسرة كلها لا تزال تعيش به عداك .. أليس من الغريب أنك تسألين عن القصر و لم تسألني عن أبيك ؟ .. ألم يكن من المتوقع أن يستقبلك هو في المطار لا أنا ؟

دخلت داليا إلى المصعد الذي تحرك بهما إلى الطابق الخامس عشر و هي تهتف في استخفاف :

- و لماذا أسأل ؟ .. اتصل بي أبي و أنا في المطار و أخبرني بأنك تنتظرني في الخارج .. عليه حضور اجتماع مجلس وزراء عاجل

لمناقشة الموقف عقب انتشار فيروس كورونا و انتقاله من الصين إلى بضعة دول .. ثم إن كلانا يعرف أن أبي لا يشتاق كثيراً لرؤيتي .. هو يسافر إلى روما كثيراً و نلتقي كل بضعة أشهر كما أن قراري بالاستقرار هنا الآن لن يغير شيئاً في علاقتنا فأنا في ذيل قائمة اهتماماته بعد ماله و نفوذه .

نطقتها في مرارة لم تستطع أن تخفيها ؛ و على الرغم من أن باسل كان يشفق على الفتاة التي تربت بين والدين منفصلين و لا أحد منهما لديه الوقت الكافي ليرعاها لكنه تجاهل هذا الشعور تماماً و هو يفتح باب إحدى الشقق و يدعوها للدخول .

تأملت داليا المكان حولها ثم قطبت جبينها بشدة و هي ترى صورة ضوئية كبيرة معلقة على الحائط .. صورة زفاف باسل .. ترقرت الدموع في عيونها للحظة قبل أن تكبحها داليا بقوة ثم التفتت إليه هاتفة في حدة :

- ماذا أفعل في شقتك بالضبط ؟ .. و أين زوجتك ؟

أخرج باسل سيجارة و أشعلها و نفث دخانها
في هدوء جعل أعصابها تكاد أن تنفجر قبل
أن يهتف :

- زوجتي توقفت عن العيش هنا منذ بضعة
سنوات .. انتقلنا إلى الإقامة في القصر بعد أن
أنجبت التوأم شهاب و شهدي .

احتقن وجهه داليا بشدة .. طوال الخمسة عشر
عاماً الماضية كانت تتجاهل السؤال عنه حتى
لا تعرف أخباره ؛ تعرف أن رجلاً صعيدي
الجنور و رجعي التفكير مثله لا بد من أن
يكون لديه دزينة من الأولاد لكنها لم ترغب
في أن تسمع هذا منه .. أشاح باسل بوجهه
عنها و هو يهتف :

- بما أنك تهدين بأمور غريبة و لا شك لدي في
أنك قد تكوني مصابة بالفيروس الذي ظهر
بالفعل في ايطاليا فأنا لست مستعداً لتعريض
أولادي أو أي من أفراد أسرتنا للخطر .. لذا
سأفرض عليك العزل المنزلي هنا .. أظن أن
أربعة عشر يوماً من العزلة ستكون كافية
لترد لك صوابك و تعيد ترتيب عقلك يا بنت
عمي و تجعلك تكفين عن هذا الهديان .

الفصل الثاني

وضعت داليا يديها على خصرها و وقفت تطرق الأرض بحذاءها و هي تفكر في سخط كيف سمح باسل لنفسه بأن يعاملها بكل هذا التعالي و كيف تركته يغادر الشقة هكذا ببساطة دون أن تمزق الابتسامة الساخرة التي على شفثيه بأظافرها و تمزق وجهه معها ..

التفتت تتأمل الصورة الضوئية التي على الحائط و هي تتساءل في ألم كيف هي حياته مع تلك الزوجة التي فضلها عليها ؛ قبل أن تضم قبضتها و هي تسب بالايطالية ثم هتفت :

- ذلك الوغد .. من يظن نفسه ؟ .. يحاول أن يضعني في قفص كما لو كنت حيوانه الأليف لكنني سأجعله يكتشف من منا له الكلمة العليا الآن .. هو الذي بدأ بإعلان الحرب عليّ و البادي أظلم .

أخرجت داليا الهاتف الجوال من حقيبة يدها و اتصلت على والدها لكن هاتفه كان مغلقاً ؛ قدرت داليا أن اجتماعه لم ينته بعد لكنها لم يكن لديها صبر لانتظار أن يجد وقتاً لها .. كانت ترغب في أن ترد الصفعة بسرعة إلى

باسل الذي كانت كل ذرة في جسدها تشتعل غضباً منه و كانت نار غضبها تتأجج كلما رمشت بعيونها و لمحت الابتسامة السخيفة التي علت وجهه في صورة زفافه .. لم تكن تطيق أن تراه مع امرأةٍ أخرى .. امرأةً شاركته حياته طوال خمسة عشر عاماً كاملة و أنجب منها كل أولاده .

اتصلت داليا على جدها الذي ما إن سمعت صوته و هو يحييها بالاطالية حتى هتفت :

- قل لي يا جدي .. أليس لك رجال في كل بقاع الأرض و قلت أن رجالك هنا سيكونون تحت أمري ؟ .. لماذا لم أرَّ أحداً منهم بعد ؟ .. أحتاج إلى أن يتصل بي أحدهم فوراً و أن يظل تحت أمري تحت أسوي كل الأمور المتعلقة بي هنا .

بالكاد أنهت الاتصال حتى رن هاتفها برقم غريب .. تلقت داليا المكالمة و هي واثقة من أن المتصل أحد رجال جدها و كانت محقة .. كان الرجل يهتف في لهفة بالانجليزية :

- تحت أمرك يا سنيورينا .. أنا و رجالي رهن إشارة منك .

ابتسمت داليا و تألقت في عيونها نظرة ظافرة
و هي تهتف بالعربية :

- أنا محتجزة ضد إرادتي في شقة على النيل
سأرسل لك موقعها على الهاتف .. أريد
الخروج منها حالاً دون الإضرار بأحد من
سكان البناية أو الحرس الموجودين على
البوابة .. حتى أنني لا أريد أن ينتبه أحد إلى
خروجي من الشقة من الأساس حتى لا ينتبه
صاحبها لخروجي قبل ان أفاجئه بهذا بنفسى
.. هل يمكنك أن تفعل هذا ؟

أنهت داليا الاتصال و أرسلت الموقع إلى رقم
محدثها ثم جلست على الأريكة و هي تولي
ظهرها إلى الصورة التي تجعل نارها تتأجج
؛ أخرجت سيجارة من حقيبتها ثم أخذت تنفث
دخانها بهدوء قبل أن يفتح باب الشقة و يدخل
إليها رجل قصير القامة شديد الأناقة يضع
فوق عينيه نظارات طبية و خلفه رجلان
مفتولا العضلات بشكلٍ ملفت للنظر .. قبل
الرجل كفها و هو ينحني احتراماً و يهتف :

- سعيد بتشريفك القاهرة يا آنسة داليا ..
و سيكون رجلاي هذان تحت أمرك طوال
إقامتك هنا .. دون أنتونيو صاحب أفضال

كثيرة عليّ و على تجارتي و سيسعدني تقديم
أية خدمة لإرضاءه .

نهضت داليا و هتفت في هدوء :

- سيكون جدي شاكراً لك إذا رضيت عن
رجالك يا عاصم بك .. و أنا واثقة من أن هذا
سيكون له تأثير كبير جداً على استثمارك هنا
و هناك .

ألقت داليا نظرة خاطفة على الصورة الضوئية
قبل أن تغادر الشقة معهما و هي تفكر في أنها
شاكرة له و لرجاله أنها لم تضطر لقضاء
الليلة في فراشٍ تشاطره باسل من قبل مع
امرأةٍ أخرى .. باسل الذي ما إن تركها في
الشقة و أوصدها خلفه حتى حاول أن ينتزع
التفكير فيها من رأسه تماماً و هو يتجه إلى
مكتبه في المقر الإداري لمؤسسة الكاشف
الاستثمارية .. دعا مجلس إدارة المؤسسة إلى
الاجتماع معه في مكتبه و جلس معهم و هو
يفكر في أن عليه أن يعود إلى داليا مرة
أخرى .. تركها في شقة خالية ليس بها لقمة
واحدة و بالتأكيد ستحتاج لأن يأخذ لها بعض
الطعام .. لم يكن ينوي الإفراج عنها بهذه

السرعة لكنه كان يريد أن يجعل إقامتها في شقته مريحة بقدر الإمكان .. مع أنه في قرارة نفسه كان يدرك أنه قد اختار لها آخر مكان في الدنيا من الممكن أن تطيب لها الإقامة به .

بهت وجه باسل عندما فتحت داليا باب غرفة الاجتماعات و دخلت إليها و خلفها سكرتيرته و هي تهتف :

- توقفي يا أنسة .. ليس من حقك الدخول هنا

وقف جميع الرجال الموجودين حول مائدة الاجتماعات و أولهم باسل الذي هتف في ضيق :

- اتركيها يا هالة .. الأنسة بإمكانها الانضمام إلى اجتماعنا هذا بدون دعوة .. هي لم تعرفك على نفسها بعد .. الأنسة داليا الكاشف .. بنت عمي معالي الوزير .

عقدت داليا ساعديها أمام صدرها و هي تهتف
في هدوء :

- و رئيس مجلس إدارة هذه المؤسسة اعتباراً
من هذه اللحظة .. أمامك نصف ساعة لتخلي
المكتب يا باشمهندس و تسلمني مفاتيحه .

عقد بأسل حاجبيه بشدة و هتف في حدة :
- هل تهدين ؟

أسرع أحد الرجال المجتمعين حول المائدة
نحو داليا و مد يده ليصافحها و هو يهتف :
- أهلاً أهلاً يا داليا .. ألن تعطينا الفرصة لنهنك
على سلامة الوصول أولاً ؟ .. سيأتي أوان
العمل فيما بعد .

صافحت داليا الشاب الأنيق شديد الوسامة
الذي لم يتجاوز الخامسة و الثلاثين من عمره
بعد و هتفت :
- أهلاً يا فؤاد .. غريب أنني لم أرك قبل الآن
.. كنت أتوقع منك أن تقابلني في المطار .

هتف فؤاد بسرعة :

- كنت أود هذا و لكنها أوامر باسل و عمي ..
كلفني باسل بمأمورية لم أنهيه قبل الآن
و هذا ما عطلني عن الذهاب للمطار لكن هذا
لن يمنعني عن الترحيب بك بطريقيتي .. ما
رأيك في أن نتناول العشاء معاً الليلة ؟ ..
سأختار مطعماً سيعجبك بشدة .

كانت داليا تتأمل وجه باسل المحتقن بطرف
عينها و هي تهتف مبتسمة :

- الدعوة مقبولة لكن دعنا نرجئها للغد .. المهم
الآن هو أن نركز على أمور العمل و بما أنك
المدير المالي للمؤسسة فسأحتاج لاجتماع
طويل معك لمناقشة بعض خطوات انتقال
السلطة من يد أخيك إلى يدي .

طرق باسل سطح مائدة الاجتماعات و هتف
في حدة :

- و من سيسمح بهذا الهراء ؟

التفتت نحوه داليا و هتفت مبتسمة :

- و من يطلب الإذن منك ؟ .. أنا صاحبة النسبة
الأعلى في رأس مال المؤسسة و أريد إدارة

استثماراتي بنفسني .. لكننا لن ننسَ جهودك هنا طوال الخمسة عشر عاماً الماضية لذا لا مانع لديّ من أن تتولى منصب مستشار المؤسسة بمكافأة سنوية مجزية سنناقشها معاً قبل أن توقع عقدك معي .

اندفع باسل نحوها و جذبها من ساعدها بقوة و هو يصرخ بها :

- كيف تجرئين ؟ .. سأحطم رأسك العنيد هذا إن لم تتوقفي عما تفعلينه .

أسرع فؤاد يمسك بكف أخيه و هو يحاول انتزاع ساعد داليا من بين أصابعه القوية و هو يهتف :

- اهدأ يا باسل .. لا يمكن أن نناقش أمورنا بهذا العنف .

اندفع رجلا عاصم إلى الغرفة و أشهرها مسدسيهما في وجه باسل بينما هتفت داليا بسرعة :

- توقفا .. نحن نناقش أمور العمل هنا و لا داعي لتدخلكما .. خذا هذه السكرتيرة و انتظرا معها في مكتبها .

أطاعها فوراً بينما خفت يد باسم على ساعدها
و هو يهتف :

- من هذان بالضبط ؟ .. بلطجية يا آنسة داليا ؟!
.. هل قررتِ احتلال المؤسسة تحت تهديد
السلاح ؟

انتزعت داليا ساعدها من بين أصابعه
و هتفت في برود :

- هما حرسى الخاص و سيفعلان أي شيء
بإشارة من يدي .. لكنني لا أحتاج إليهما
ليدافعا عني أمامك و إذا تجرأت و رفعت يدك
عليّ مرة أخرى فكن مستعداً لأن تقضي باقي
عمرك بيد واحدة .. أما السخافة التي عاملتني
بها منذ وصولي للمطار حتى الآن فسأتغاضى
عنها إكراماً للدم الذي بيننا .. لكنها آخر مرة
أسمح لك فيها بإهانتني يا ابن عمي .. و الآن
.. ابدأ في تنظيف المكتب من متعلقاتك
و سلمني المفاتيح و لا تضطرنى لأن أمر
رجالي بإخراجك من هنا بطريقتهم .

الفصل الثالث

اندفع تيار من الغضب يجتاح شرايين باسل و هو يحدق في وجه داليا ؛ صوتها الهادئ الرصين و الثقة التي تتحدث بها و الهدوء في عينيها يستفز كل ذرة في جسده وتجعله يرغب في خنقها لكنه لم يفعل .. ليس لأن تهديدها قد أثر به و لكن لأنه لم يرد أن يعطيها الفرصة لتتبجح أمامه بأكثر مما فعلت .

انسحب أعضاء مجلس الإدارة من الغرفة في صمت فقد بات من الواضح أن الاجتماع قد انتهى و مسألة السلطة لا يمكن حسمها إلا بين داليا و باسل فحسب و لم يعد هناك من داعٍ لوجودهم .. عدا فواد الذي هتف مبتسماً :

- ما الأمر يا جماعة ؟ .. نتحدث هنا عن مؤسسة استثمارية يكاد رأس مالها أن يبلغ المليار لا عن لعبة يمكن أن تتشاجرا عليها .. اجلسا و ناقشا الأمر بمعقولية و لا تنسيا أن الاقتصاد العالمي كله معرض لهزة كبيرة إذا لم يتم احتواء نفشي وباء كورونا بسرعة و بأقل خسائر بشرية ممكنة .

جلست داليا خلف المكتب الأنيق الذي يحتله
باسل منذ بضعة أشهر و وضعت ساقاً فوق
أخرى و هتفت في هدوء :

- فليكن .. حقي واضح و لا جدال به و لا أحد
يستطيع أن يقنعي بالتخلي عنه أو التفريط
فيه .

جلس فؤاد أمام المكتب و هتف :

- و لكن يا داليا .. باسل يدير المؤسسة بالنيابة
عن والدك .. عمي هو الوحيد الذي يستطيع
أن يعفيه من منصبه لا أي شخصٍ آخر .

أشعلت داليا سيجارة و نفتت دخانها في هدوء
و هتفت :

- لمعلوماتك يا فؤاد .. عمك هو أول شخص لن
يستطيع مناقشتي في هذا القرار أو إثنائي عنه
.. و بما أنك المدير المالي للمؤسسة فأنت
أكثر شخص يعرف أن حصتي في رأس
المال تتجاوز ثلاثة أرباع المؤسسة أي أنني
الشريك الذي يملك حق إصدار القرارات هنا
لا أي شخصٍ آخر بما في هذا أبي ..

التفت فؤاد إلى باسل و هتف و ابتسامة شامته
لا تخطئها العين تقفز إلى شفثيه دون أن ينجح
في إخفاؤها :

- من هذه الناحية بالذات داليا محقة يا باسل ..
من حقها هي فحسب إدارة المؤسسة أو اختيار
من تنبيه في إدارتها .. هذا لا يعني أن تعفك
من المسؤولية بهذه السرعة .. أقصد ..
المؤسسة ستمر بظروف حرجة في الأيام
القادمة بسبب تفشي ذلك الوباء و أنت أجد
شخص على قيادة السفينة و إنقاذها من الغرق
.. طبعاً .. إذا لم تكن داليا لديها رأي آخر .

- ظل باسل صامتاً بينما هتفت داليا في حزم :
رأيي أعلنته يا فؤاد و لن أقبل بمناقشته ..
سأدير أموالني بنفسني و أنا قادرة على أن
أتجاوز الأزمة القادمة بدون خسائر فادحة
و سأصل بسفينتي إلى بر الأمان ..
الباشمهندس يمكنه أن يساهم معنا في الإدارة
كمستشار يمكنني الأخذ برأيه إن اقتنعت
بصوابه لكن القرارات ستصدر عني أنا لا
عن أي شخص آخر .. وهذا قرار نهائي و لا
رجعة فيه .

هتف باسل في حدة :

- و فتاة بنصف عقل كيف يمكنها إدارة مؤسسة كهذه في رأيك ؟ .. ستغرقين السفينة و تضيعين اسم و ثروة و نفوذ بنتهم عائلة الكاشف في عقود طويلة في غمضة عين .

هبت داليا واقفة و هتفت في ثورة :

- من الذي بنصف عقل ؟ .. قد يكون هذا أنت .. لأنك أعمى لا تستطيع أن تزن الأمور و لا تعرف قيمة الناس و لا تجيد الحكم عليهم .. قلت ذات يوم أنني نصف كل شيء لكنني أقل من نصف امرأة و لن أنس لك هذا ما حييت .. سأجعلك تتعلم من هي داليا الكاشف و ما الذي تستطيع أن تفعله ؛ و صدقني .. نصف ما أنت عليه ملكي و يعود لي و أستطيع أن أنتزعه بمنتهى البساطة و أوله هذا المقعد و المنصب الذي لم يعد من أجلك و هذا أول المطاف يا باسل و ليس آخره و الأيام بيننا .

احتقن وجه باسل بشدة و هتف :

- هل تنتقمين مني لأنني رفضتك في يوم من الأيام ؟ .. هل أنتِ حمقاء لهذا الحد ؟ .. أنا لن ...

قاطعته داليا هاتفة في سخط :

- أنا لا أنتقم منك و أنت لم ترفضني .. أنت أحق لم يعرف قيمتي و لم يقدرني و أن الأوان كي أجعله يرى بعينيه كم كان مخطئاً في حقي .. اخرج من هذا المكتب يا باسل و اعتبر أنني قد سحبت عرضي بعملك لديّ لأنه من الآن فصاعداً لم يعد لك مكان في هذه المؤسسة و لن أسمح لك بدخولها مرة أخرى .. و الآن .. حافظ على ماء وجهك و أخرج بكرامتك لأنني في هذه اللحظة بالذات يروق لي أن أمر أمن المؤسسة بالقاءك في الشارع .

كاد باسل أن يهجم عليها ؛ كان الغضب يعشي عينيه و يعطل تفكيره لكن فؤاد تصدى له و أقنعه بالعودة معه إلى القصر و إرجاء المناقشة لما بعد ..

غادر فؤاد المكتب و باسل معه قبل أن تأمر داليا السكرتيرة بإغلاق المكتب و تغادر مع الحارسين الذين أخذها إلى قصر الكاشف حيث دخلت إلى القصر بينما وقفا بالخارج في انتظار أوامرها .

لم تقابل داليا أهداً من سكان القصر سوى الخادمة التي أخذتها إلى الغرفة التي أمر والدها بتجهيزها من أجلها .. كانت داليا تعرف هذه الغرفة جيداً فقد كانت غرفة أمها صوفيا عندما كانت تقيم في القاهرة و ذلك قبل أن تقرر الانفصال عن شهدي و السفر إلى إيطاليا .

دخلت داليا إلى دورة المياه و اغتسلت قبل أن ترتدي ثوباً فضفاضاً و تستلقي في الفراش ؛ أحداث اليوم كانت كثيرة و استنزفتها تماماً حتى أنها أغمضت عينيها و غابت في ثبات عميق لبضع دقائق قبل أن يدخل والدها إلى الغرفة و يهزها برفق .

فتحت داليا عيونها ثم اعتدلت جالسة في الفراش و هي تبتم هاتفة :
 - أهلاً يا أبي .. وحشتني .. لم أرك منذ بضعة أشهر .

هتف شهدي في ضيق :
 - ما هذا الذي فعلته مع باسل ؟ .. من قال أنني سأسمح بأن تنتقل إدارة المؤسسة لك ؟ ..

باسل هو عميد العائلة من بعدي و هو الوحيد
الذي يحق له ...

هتقت داليا في هدوء :

- لا أحد يحق له أن يبسط نفوذه على أملاكي
ضد إرادتي .. ابن أخيك يجب أن يفهم أنه لن
يستطيع الجلوس على مقعد داخل المؤسسة
بدون إذني و أنا من سيحدد له اختصاصاته
و راتبه و لن يستطيع أن يضع توقيعه على
ورقة قبل أن أسمح له أنا بأن يممسك القلم ..
هل هذا مفهوم ؟

حرق شهدي في وجهها في استنكار قبل أن
يهتف :

- أملاكك؟! .. منذ متى و هي أملاكك ؟ .. أنا
لم أمت بعد و ليس من ...

غادرت داليا الفراش و هتقت في هدوء :

- هل أصبحت ضعيف الذاكرة يا أبي ؟ .. من
المؤسف أن يعاني رجل في حساسية منصبتك
بمشاكل في الذاكرة .. عموماً .. دعني أعيد
تذكيرك بحقائق بسيطة من الواضح أنها قد
فاتتك هنا .. حتى نهاية الثمانينات من القرن

الماضي كانت أسرة الكاشف أسرة ثرية بالفعل و لكن ثراها كان محدوداً .. كانت لديكم بعض الأراضي الزراعية و مصنعاً لتعليب الخضروات و مصنعاً للحوم و هذا القصر .. ثم تعرف جدي مصطفى على جدي آل أثناء الرحلة التي قضاها في ايطاليا و اتفقا على الشراكة .. بدأت المؤسسة تمارس عملها بمال جدي آل على أن يتم تقسيم الملكية بنسبة ٥١ % لجدي مصطفى و ٤٩ % لجدي آل و ذلك باسم ابنته الوحيدة صوفيا التي تزوجتها أنت بعد هذا بأعوام قليلة .. بوفاة جدي مصطفى آلت لك نصف حصته في المؤسسة بينما حصل أخيك شهاب على النصف الباقي و الذي انتقل بوفاته إلى ولديه باسل و فؤاد .. حالياً انتقلت لي حصة أمي بالكامل عندما قررتما الانفصال منذ خمسة عشر عاماً و لم تسمح لها باصطحابي معها إلا بعد أن تنازلت لي طوعاً عن حصتها لتصبح تحت يدك بحكم ولايتك علي كما بعث لي أنت كل حصتك منذ بضعة أشهر عندما قررت الحصول على مقعد الوزارة .. هذا يجعل الجزء الأكبر من هذه المؤسسة ملكي

و يحق لي أن أتصرف فيه كما أشاء .. هل هذا واضح يا أبي ؟

بهت وجه شهدي بشدة و هتف في ارتباك :
- هل تعرفين ما هو حجم المؤسسة الآن ؟ ..
فتاة مثلك كيف ستدير هذا كله ؟ .

تنهدت داليا و لوت شفيتها و هي تهتف في ضيق :

- كأنني أسمع باسل مرة أخرى .. ما معنى فتاة مثلي ؟ .. ما الذي يجعلك تستهين بي و تثق في قدرات ابن أخيك ؟ .. ألمجرد أنه ذكر و أنا أنثى ؟ .. قد يدهشك هذا يا أبي لكنني أعرف كيف سأدير هذه المؤسسة ربما أفضل منك و من ابن أخيك .. و سوف ترى هذا بعينيك .. لن أطلب منك فرصة لأثبت كفاءتي لأنني لست في حاجة إلى سماحك أو سماحه لأفعل ما أراه مناسباً لي و لأملاكي .

هتف شهدي في ذهول :
- لا أصدق أنني أسمع هذا الكلام من ابنتي .. أين هي دوللي التي أعرفها ؟ .. من الواضح أنني قد أخطأت كثيراً عندما سمحت أن

تسافري مع صوفيا .. كان يجب أن أصر
على بقاءك هنا .

هتقت داليا في استخفاف :

- و تضيع فرصة بسط نفوذك على المؤسسة ..
لا أظن .. ثم إن كلانا يعرف جيداً أن سفري
مع أمي كان رغبة جدي آل و أنت لم تكن
تستطيع أن تقول له لا .. و أكبر دليل على
هذا هو أنني قد فقدت أمي بعد طلاقكما
بشهور قليلة و مع هذا لم تجرؤ على إعادتي
إلى القاهرة .

الفصل الرابع

انسحب شهدي من غرفة داليا بعد أن عجز عن إقناعها بالتقهقر أمام باسل و ترك الساحة خالية له ؛ تنهدت داليا في حرارة قبل أن تتناول العشاء في غرفتها ثم خلدت إلى النوم ..

لا تزال ترى في أحلامها فتاة مفطورة القلب لا تكف عن البكاء تعرف أنها لا تزال موجودة في أعماقها مهما توارت عن الأنظار و نجحت في الاختباء حتى عن داليا نفسها .

استيقظت داليا في الثانية صباحاً و هي تشعر باختناق حتى أنها ارتدت ثيابها و نزلت إلى الحديقة .. لا تزال تتذكر الخميلة التي بقرب حمام السباحة فقد كانت لها هناك ذكريات بغیضة لا تستطيع أن تنساها لكنها مع هذا سارت نحوها ثم جلست عند الأرجوحة و وضعت ساقاً فوق أخرى كالعادة و سحبت نفساً عميقاً قبل أن تنهد في حرارة .

أغمضت عيونها للحظات فطاف في ذهنها صورة الشاب الذي يكبرها بثلاثة عشر عاماً كاملة و الذي التصقت به كظله عندما أنت لزيارة القاهرة مع أمها .. كانت في الثالثة عشر من عمرها و كان هو في السادسة و العشرين .. حاصل على بكالوريوس الهندسة لتوه و يهم بالحصول على الماجستير .. يعمل في إدارة المؤسسة تحت يد والدها و يقيم معه في نفس القصر .. و قد انبهرت به منذ اللحظة الأولى .. كان ذكياً .. لامعاً .. شديد الثقة بنفسه .. قوي الشكيمة .. له نظرة ثابتة كانت تشعرها دوماً بالقشعريرة .. كان فارغ الطول و قد بدت دوماً كقزما بجواره .. و الغريب أنه لم يكن لطيفاً معها على العكس من شقيقه الذي كان يصغره بخمسة أعوام كاملة .

لم تكن داليا تعرف باسل أو فؤاد من قبل فقد كانت هذه هي زيارتها الأولى للقاهرة ؛ كما لم تكن تعرف أن إصرار والدتها على هذه الرحلة لم يكن من أجل الاستقرار مع زوجها بعد أن ظلت لعدة سنوات تقيم في قارة و هو في قارة أخرى تماماً بل كانت من أجل التفاوض على الطلاق ..

و عندما أدركت هذه الحقيقة لجأت إلى الشخص الوحيد الذي ظنت أنه قد يرغب في بقائها في القاهرة .. باسل .. لكنها اكتشفت بمنتهى الصعوبة أنه آخر شخص يرغب منها البقاء .

فتحت داليا عيونها عندما شعرت بحركة خفيفة على العشب و التفتت إلى الرجل الذي اقترب منها و هو يكاد أن يكون عارياً إلا من ثوب سباحة و منشفة يلقيها على كتفه .. فوجئ عندما رآها و عقد حاجبيه و هتف في ضيق :

- ماذا تفعلين هنا في هذه الساعة ؟

حاولت داليا أن تتجاهل دقائق قلبها المجنونة على أبواب صدرها و هي تشيح بعيونها عنه و تتظاهر باللامبالاة و هي تهتف :

- أستنشق بعض الهواء المنعش .. السؤال هو : ما الذي يفعله رجلٌ عارياً في أوائل شهر مارس عند حمام السباحة قرب الفجر ؟ .. أليس هذا غريباً بعض الشيء ؟

هتف باسل و هو يلقي المنشفة بجوارها :
 - لا يزال هذا قصر جدي و نحن ورثته و يحق لي أن أتجول به كيف أشاء .. ثم إن الجو ليس شديد البرودة و أحب أن أمارس السباحة دائماً قبل الفجر .. تساعدني على صفاء ذهني و التفكير بروية .

ألقى نفسه في الماء و قطع حوض السباحة جيئةً و ذهاباً خلال لحظات قبل أن يختفي تحت سطح الماء للحظات ثم عاد للظهور مرة أخرى ..

لم تمنع داليا نفسها من أن تتذكر ليلة كهذه .. مرت عليها ليالٍ طويلة بعدها لكنها لم تستطع قط أن تنساها .. كان باسل يسبح في نشاط عندما نزلت من غرفتها و وقفت قرب حمام السباحة و هي تنتظر أن يلتفت لها و عندما فعل هتف في حيرة :

- ماذا تفعلين هنا في هذه الساعة المبكرة ؟ ..
 طفلة مثلك ينبغي أن تكون في فراشها الآن .

هتفت داليا في عناد طفولي :
 - أنا لست طفلة .. و أريد أن أنضم إليك .

لم تكن تجيد السباحة لكنها نزلت إلى الحوض
وظلت مستندة إلى الجدار فاقترب باسل منها
و هتف في حيرة :
- ما الذي تريدينه في ساعة كهذه يا دوللي ؟

هتفت في مرارة :
- اتفق أبي و أمي على الطلاق .. قد ينفذان هذا
غداً و ستعيدني أمي معها إلى روما .

كانت تتحدث بعربية بالكاد يستطيع أن يفهمها
لكنه بالتأكيد كان يرى نظرة الضياع في
عينها و يعلم ما الذي تعانیه .. هتف :
- هذا مؤسف و لكن .. كوني واقعية يا داليا ..
كان هذا سيحدث أجلاً أم عاجلاً .. هما
منفصلان منذ سنين و الحياة لا يمكن أن
تستقيم بينهما للأبد على هذا الحال .. مع هذا
لا أوافق على فكرة سفرك معها .. عمي ترك
مكانه في حياة امرأته شاغراً لفترة طويلة
و أنا واثق من أنها تصر على الطلاق الآن
لأنها وجدت من يملأه ؛ لذا كان عليه أن
يتمسك بأن تظلي هنا لتتربي على عاداتنا
و تقاليدنا و تكوني تحت رعايته .. قلت له
رأيي هذا بصراحة لكنه لم يتوقف ليفكر فيه

.. من الواضح أن له أولويات أخرى الآن
تشوش تفكيره .

لمعت الدموع في عيون داليا و همست :
- لكنني لا أريد السفر معها .. أريد البقاء هنا ..
معك .

هتف باسل في استنكار :
- معي؟! .. ما معنى معي ؟

تركت داليا الجدار و وضعت كفيها على كتفيه
و هي تهمس :
- معناها أنني لا أريد الابتعاد عنك .. أحبك
يا باسل و أريد أن أتزوجك عندما يحين
الوقت المناسب .

حدق باسل في وجهها في استنكار حتى
ازدادت تعلقاً به و لثمت شفثيه .. دفعها باسل
بعيداً عنه و صفعها بقوة قبل أن يجذبها من
شعرها في خشونة و يخرجها من حوض
السباحة و هو يهتف في سخط :
- طفلة في سنك عندما تتكلم عن الحب
و الزواج أولى بأبيها أن يدفنها قبل أن تجلب

عليه العار و الفضيحة .. وهذا هو المنتظر
من بنت تربت مغتربة عن أبيها و جذورها ..
عودي إلى غرفتك يا داليا و لا أريد أن أر
وجهك حتى تخرجي من هذا القصر و لا
تعودي إليه مرة أخرى أبداً .

انفجرت داليا باكية و هي تهتف في لوعة :
- لماذا أنت غاضب مني لهذا الحد ؟ .. ليست
جريمة أنني أحبك .. و أنت ؟! ..
ألا تحبني ؟

صمت باسل للحظة قبل أن يهتف :
- سأعلن خطبتي الأسبوع القادم .. من المؤسف
أنك لن تكوني موجودة في حفل الزفاف حتى
تري بعينيك الفرق بينك و بين الفتاة التي
سأتزوجها .. هي ليست نصف مسيحية و لا
نصف أوروبية و ليست بنصف عقل .. و قبل
هذا كله هي امرأة بالفعل و ليست مراهقة
حمقاء لا تستطيع أن تدرك أنها لا تزال أقل
من نصف امرأة بكثير .

انتفضت داليا و هي تفيق من ذكرياتها
المريرة ؛ كبحت جماح الدموع التي تراحمت

بين أهدابها و اقتربت من حوض السباحة
و جلست عند حافته و هي تتأمل باسل الذي
أشاح بعيونه عنها و تظاهر بأنها ليست
موجودة و هو مستمر في رياضته الصباحية
حتى هتفت :

- كيف تسمح لك زوجتك بأن تهجر فراشها كل
ليلة في ساعة كهذه ؟ .. أي نوع من الزوجات
هي ؟

توقف باسل عن السباحة و التفت نحوها
هاتفاً :

- من النوع الذي يلائمني .. تعرف حدودها
جيداً و لا تتدخل فيما ليس من شأنها .. تطيع
الأوامر و لا تناطحني الرأي .. ترعى أولادي
و تنسئهم بالطريقة التي أرى أنا أنها صائبة ..
ولن تنطق بحرف ما لم تكن واثقة من أنني
أسمح لها بأن تنفوه به .

أشعلت داليا سيجارة و هي تهتف :
- فهمت .. من النوع الخانع الذي لا عقل له
و لا إرادة .. قل لي يا باشمهندس .. ما
النقص الفظيع الذي يعترني شخصية الرجل
و يجعله يرغب في تابع لا امرأة تشاركه

حياته ؟ .. لأنني لا أفهم بالضبط كيفية تفكير الرجال من أمثالك .. تدعون دوماً بأن عقول النساء ناقصة و عندما تفكر في الزواج تختار امرأة لا عقل لها على الإطلاق .

قفز باسل من الحوض و جلس بجوارها ؛ مد يده و انتزع السجارة من بين شفيتها و هو يهتف :

- أنا أيضاً يا بنت عمي لا أفهم نوعية النساء التي تزاحم الرجال في عالمهم و تصر على مجاراتهم حتى في رذائلهم .. فتاة مثلك لما تدخن ؟ .. و أنتِ حسبما أذكر مريضة بالربو الشعبي .. ثم .. ما لكِ أنتِ و أمور الإدارة ؟ .. فتاة مثلك ماذا تفعل في عالم المال و الاستثمار ؟ .

كان يتكلم بهدوء و بلهجة ناعمة بدت غريبة عليه بعض الشيء .. تنهدت داليا و هي تفكر في أنه من الأسهل بالنسبة لها التعامل مع الرجل الخشن الذي يشعرها بأنها تقف أمامه في ساحة معركة على أن يكون لطيفاً معها .. تعرف أن هذا اللطف مجرد قناع لخداع عواطفها و السيطرة عليها لكنها مع هذا

سمعت صوتاً خافتاً في عقلها يطالبها بالاستسلام له .

استعادت داليا السيارة من بين أصابعه وهفت و هي متظاهرة بالهدوء :

- فتاة مثلي حاصلة على ماجستير في إدارة الأعمال يا باشمهندس من جامعة عريقة كما أنني كنت ساعد جدي اليمين في جميع استثماراته خلال الخمسة أعوام الماضية وأنت تعلم من هو جدي وما هو حجم استثماراته بالضبط .. ثم .. أنا لم أعد مريضة بالربو الشعبي .. لن تجد بخاخة في حقيبة يدي و أخرى أسفل وسادتي كما كان عليه الأمر في السابق .. قلت لك أن الكثير من الأمور قد تغيرت يا باشمهندس لكنك أعمى و لا تراها .. و سأكون سعيدة جداً عندما نكتشف حجم قدراتي و تكف عن التفكير بي على أنني مجرد فتاة لا حول لها و لا قوة لأنني لست كذلك .. لست كذلك على الإطلاق .

الفصل الخامس

ذهبت داليا إلى المؤسسة في الصباح الباكر ؛ دخلت إلى مكتب رئيس مجلس الإدارة و جلست به و طلبت من السكرتيرة قدها من القهوة ودعوة الأعضاء إلى اجتماع عاجل بعد ساعتين .. كانت لا تزال تشرب القهوة عندما طرق فؤاد باب المكتب و دخل إليه و هو يهتف مبتسماً :

- أبلغتني السكرتيرة بوجود اجتماع عاجل اليوم .. هل معنى هذا أنني لم يتم إعفائي من مناصبي بعد ؟

أشارت إليه داليا بالجلوس أمام مكتبها و هي تهتف في حسم :

- لا إعفاءات لمن ليس لديه اعتراض على وجودي في هذا المقعد .. أعرف أن ولاء الناس في العادة يكون للمنصب لا لمن يشغله لذا لن تكون هناك مشكلة في الاحتفاظ بجميع باقي طاقم العمل .. أم أنني مخطئة ؟

جلس فؤاد و هتف في هدوء :

- أعرف ما تلمحين إليه يا داليا و لكنني أؤكد لك على أن كون باسل شقيقي لا تأثير له على

الإطلاق في مسألة انتقال السلطة منه إليك ..
 في كل الأحوال يا عزيزتي أنتِ صاحبة حق
 و لا أحد يحق له أن يلومك على استعدادك
 لحقك .

تأملت داليا وجه فؤاد للحظات و هي مستغرقة
 في تفكير عميق قبل أن تهتف :
 - بصراحة يا فؤاد .. يساورني شعور بأن طرد
 باسل من المؤسسة يروق لك و أريد أن أفهم
 .. لما هذا ؟ .. أنت شقيقه الوحيد و كان من
 الطبيعي أن تستاء لما تعرض له .

أطرق فؤاد برأسه للحظات و بدا و كأنه يفكر
 في كلامها بشدة قبل أن ينطق بأي حرف ثم
 هتف :

- بصراحة يا بنت عمي .. باسل يهيمن على
 المؤسسة و القصر و العائلة كلها .. هو يجهز
 نفسه منذ وقتٍ طويل لأن يحل محل والدك
 و يصبح صاحب الكلمة العليا في كل شيء ..
 و لا بأس بهذا .. هو الأخ الكبير و هذا حقه ..
 و لكن .. عندما تتغير دفة الأمور ضده لا أجد
 لديّ رغبة في أن أتعاطف معه .. في كل
 الأحوال لا أحد يحب من يتنمر عليه مهما كان

قريباً منه و لا أظن أنك ستجدين شخصاً واحداً يتعاطف مع باسل حتى لو بحثت بدقة .. بما في هذا زوجته نفسها .

كان فؤاد مسهباً في الشرح و هو يوضح لها كل أوضاع المؤسسة المالية مما جعلها تثق في أنه كفاء للمكان الذي يشغله رغم صغر سنه و عندما توقف عن الحديث هتفت داليا مبتسمة :

- أنت تثبت لي أن باسل ماهر في الإدارة بالفعل فهو يضع الرجل المناسب في المكان المناسب و إذا كان باقي العاملين هنا على نفس كفاءتك يا فؤاد فسيكون هذا مطمئناً جداً بالنسبة لي .

- استرخى فؤاد في مقعده و هتف في صدق : شهادة حق يا داليا .. باسل أكثر من ممتاز في أمور الإدارة و لا أقول هذا لأنه شقيقي .. باسل قدم للمؤسسة هنا خدمات جلية و حتى في وجود عمي كان هو الرجل الخفي الذي يحرك الأمور من خلف الستار .

صمت لحظة ثم أردف :

- و أنا لا أقلل من كفاءتك يا داليا و لكن ..
خروج باسل من المؤسسة الآن خسارة كبيرة
خاصةً مع الظروف الاستثنائية التي سيمر بها
الاقتصاد العالمي كله في الأيام القادمة .

هتفت داليا في ثقة :

- اطمئن يا فؤاد .. المؤسسة ستظل قائمة
و ستمر من هذه الأزمة مهما ازدادت حدتها
و هي لا تزال واقفة على أقدام راسخة ..
و أنا لا مانع لديّ من وجود باسل بيننا ولكن
.. في النطاق الذي أحده له و في الحدود
التي لن أسمح له بأن يتجاوزها .. و أخوك
للأسف لن يقبل بهذا و يسلم بالأمر الواقع .

خلال الاجتماع أدرك فؤاد أن ثقة داليا بقدرتها
على إدارة الأزمة لم تأت من فراغ ؛ كان من
الواضح أنها تعرف كل صغيرة و كبيرة عن
نشاط المؤسسة و وضعها المالي كما أن لديها
صورة واضحة عن الإجراءات التي من
الممكن أن تتخذها الحكومة في مواجهة
الموقف و تداعياته كما كانت لديها قناعة تامة
بأن الأسوأ لم يأت بعد و أن الهزة التي

سيسببها تفشي الوباء بشكل عالمي سيكون لها تأثير كبير في تغير خريطة اقتصاديات العالم بأسره خاصةً الدول الكبرى بما في هذا الولايات المتحدة نفسها و الإتحاد الأوروبي و النمرور الآسيوية بالكامل لا الصين فحسب .

بعد انتهاء الاجتماع طلبت داليا من فؤاد أن يصحبها إلى البيت في سيارته فوافق على الفور ؛ و عرض عليها أن يذهب معها إلى أي معرض سيارات لتختار السيارة التي تروق لها لكنها رفضت و هتفت :

- سيارتي و كل أغراضي في الطريق إلى هنا .. شحنتهم عن طريق البحر و سيصلون إلى ميناء الاسكندرية خلال أيام .. رجلا الأمن معهما سيارة سأستخدمها مؤقتاً و لكن ليس هذه المرة .. فأنا أريد أن أتحدث معك أثناء الطريق .. حديثاً عائلياً .

انطلق فؤاد بالسيارة و داليا بجواره يتبعهما رجلا الأمن في سيارتهما ؛ ابتسم فؤاد و هتف :

- ما الذي تريدين معرفته يا بنت العم ؟ .. أخبار باسل في الخمسة عشر عاماً الماضية؟! .

قطبت داليا جبينها و هتفت في ضيق :
- و لما باسل بالذات ؟ .. ماذا تقصد بهذا ؟

هتف فؤاد في ارتباك :

- آسف .. لم أقصد مضايقتك و لكن .. كل ما في الأمر هو أن باسل هو الشخص الوحيد الذي لا تعرفين أخباره .. خلال السنوات الماضية زرت ايطاليا أكثر من مرة كما أننا كنا نتحدث هاتفياً و نتراسل من وقتٍ لآخر و كذلك عمي .. باسل هو الوحيد الذي لم تلتيه طوال هذا الوقت و أظن أنه لم يكن هناك أي اتصال بينكما على الإطلاق حتى أنكِ كنتِ تتحاشين الحديث عنه معي .. أو على الأقل .. هذا ما توهمته .

أطرقت داليا برأسها و هي تفكر في أن فؤاد على صواب ؛ تعرف باسل الذي سقط قلبها المراهق في حبه لكنها لا تعرف الرجل الذي تعبت بمستقبله الآن .. له زوجة لم تقابلها بعد ؛ و أولاد لا تعرف كم عددهم ؛ و حياة ليس لها مكان فيها و لن يكون .. ومع هذا لا زال يملأ عليها كل تفكيرها و لا تدري متى ستستطيع أن تتحرر من لعنته و ترضى

بالواقع الذي يقول بأنها لا تزال شابة و من
حقها أن تختار الرجل الذي يشاركها حاضرها
و مستقبلها .. وللأسف .. لن يكون باسل على
الإطلاق .

التقت داليا إلى فؤاد و هتفت :

- أزالتم دعوة العشاء قائمة ؟

فوجئ فؤاد بأنها قد غيرت مجرى الحديث

لكنه لم يعقب بل هتف في مرح :

- و سأختار أنا مكاناً أعرف جيداً أنه سيروق

لكِ .. متى ستكونين مستعدة ؟

ما إن وضعت داليا قدمها في القصر حتى
ذهبت إلى غرفتها مباشرة ؛ اغتسلت بسرعة
و ارتدت ثوباً لائقاً بالسهرة التي وعداها فؤاد
بها ؛ ووضعت مساحيق التجميل التي تبرز
جمالها بدون مبالغة قبل أن تنزل إلى ردهة
القصر حيث لمحت فؤاد واقفاً في الشرفة
المطلّة على الحديقة وهو يتهامس مع امرأة لم
ترها داليا من قبل .

فكرت داليا في أن فؤاد على علاقة وثيقة بتلك المرأة فعلى الرغم من أن همسهما لم يصل إلى أذنيها إلا أنها لمحت في عيون المرأة نظرة ألم و بريق دموع نجحت في إخفاؤهما بسرعة و هي تمد يدها لتصافح داليا و هي تهتف :

- أهلاً يا داليا .. قال لي فؤاد أنك أجمل فتاة في عائلة الكاشف لكنني لم أتخيل أنك جميلة لهذا الحد .. أنا مروة .. زوجة باسل .

شعور رهيب بالنفور كان يعتري داليا و هي تغتصب ابتسامة على وجهها و تمد يدها لمصافحة المرأة التي انتزعت منها الرجل الوحيد الذي أحبته طوال حياتها .. تأملتها في سخط و هي لا تدري ما الذي أعجبه في هذه المرأة ليفضلها عليها .. كانت شابة هادئة شاحبة الوجه حزينة النظرات و في نفس سن فؤاد تقريباً .. لا يمكن القول بأنها ليست جميلة ولكن هي بالتأكيد باهتة .. و كأنها زهرة بلاستيكية لا روح فيها و لا حياة .. و هي بالتأكيد خائفة لكن من المستحيل أن تتخيل داليا أن هذه المرأة التي تصافحها هي

زوجة سعيدة .. لأن هذا كان آخر ما يمكن أن
تصفها به .

كان فؤاد يتأمل داليا في ثوبها الفضي اللون ..
فتاة ممشوقة القوام ؛ لها شعر حريري شديد
السواد و النعومة تتركه ينسدل كالشلال على
كتفيها العاريين ؛ عيونها الخضراء تتلألأ في
صفحة وجهها البياضوي خمريّ البشرة وتطل
منهما حيوية وغموض يجعلان جمالها يزداد
جاذبية .. و فكر في أنه لا يمكن المقارنة بينها
وبين مروة .. الفتاة الجميلة ؛ هادئة الطباع ؛
قليلة الحيلة التي قتل فيها باسل عنفوان
الشباب و حرارة العاطفة بقسوة متناهية ..
و تساءل للحظة : هل كان من الممكن أن يقع
باسل في غرام فتاة مثل داليا لو أنها قد دخلت
إلى حياته في الوقت المناسب ؟ .. قبل أن
يمحو الفكرة من ذهنه و هو يدعو داليا
للتحرك بسرعة قبل أن يضيع الوقت منهما ..
ثم ودعا مروة التي ظلت تتابعهما بنظرها
حتى ركبا في السيارة و انطلق بها فؤاد
مغادراً القصر .

الفصل السادس

وقفت داليا فوق سطح الباخرة السياحية الفاخرة التي دعاها فؤاد لتناول العشاء بها قبل أن تبتسم هاتفية :

- المشهد رائع بالفعل .. هل هو السبب الوحيد الذي دفعك لاختيار هذا المكان أم أنك أردت أن تجري زيارة ميدانية لممتلكات المؤسسة لنطمئن على نجاح استثماراتنا ؟

احمر وجه فؤاد و هتف في حرج :

- لم أعتقد أنك ستتعرفين على الباخرة .. لدينا أكثر من عشر بواخر من هذا النوع و لم أظن ...

قاطعته داليا هاتفية :

- أعرف جميع بواخرنا عن ظهر قلب يا فؤاد .. لديّ ملف كامل به صور لكل باخرة و بيانات كاملة عن عدد العاملين بها و أسماءهم و وظائفهم و رواتبهم و كل شيء .. حتى أن لديّ تقاريراً مستفيضة عن كل باخرة و عوائد تشغيلها .. أنا لم أستيقظ من النوم فجأة و قد قررت الاستيلاء على منصب أخيك بل أنا أستعد لهذا منذ سنين ؛ و أعرف كل التفاصيل

التي يعرفها باسل عن ممتلكاتنا و ربما ما لا يعرفها هو أيضاً .. اطمئن .. المؤسسة في أيدي أمينة و قادرة على حمايتها .

ضحك فؤاد و هتف في استغراب :
 - طوال السنوات التي عرفتك بها لم أفهمك قط .. في أول مرة تعرفنا عليكِ بها بدوتِ كفتاةٍ ساذجةٍ عديمة الخبرة حتى أن تصرفاتك كانت تجعلك تبدين أكثر طفولة مما كان عليه سنك بالفعل أما الآن .. أنا لا زلت لا أفهمك يا داليا .. تبدين غامضة كثيراً و محيرة و أنا أتساءل عما أنتِ عليه بالضبط .

تجاهلت داليا سؤاله و دخلت إلى المطعم و جلست إلى طاولة بالقرب من النافذة و تظاهرت بالانشغال بقراءة قائمة الطعام .

ظل فؤاد محترماً لصمتها حتى أتى النادل و أخذ منهما قائمة بالطلبات ثم انصرف .. قدم لها فؤاد كأساً من الشامبانيا فرفضت بهدوء و هتفت :

- أنا لا أشرب يا فؤاد .. الخمر حرام أم أنهم نسوا إخبارك بهذا و أنت في المدرسة الابتدائية .

تجرع فؤاد الكأس ببطء و هو يتأملها قبل أن يتمتم :

- رغم ضخامة المؤسسة و اتساع نشاطها و حصتك الكبيرة في رأس المال لا أصدق أنك قد قطعت كل هذه المسافة من روما إلى القاهرة من أجل إدارتها .. أعرف جيداً من هو سنيور آل أنتونيو و أنت وريثته الوحيدة .. جدك يملك شركة نقل بحري عملاقة مقرها في بنما .. مصنعاً كبيراً لصناعة السلاح في فلوريدا .. مصنعاً للسيارات في الصين .. مصرفاً دولياً مقره الرئيسي في روما .. منجماً للذهب في جنوب أفريقيا و ما خفي كان أعظم .. فلماذا تتركين هذا كله من أجل قطرة في بحر ؟

ظلت داليا صامتة و أخرجت سيجارة وظلت تنفث دخانها في عصبية ؛ بينما تجرع فؤاد نصف زجاجة الشامبانيا و تجاهل كلاهما

الطعام الذي أحضره النادل حتى برد .. ثم
تهتفت داليا فجأة :

- أحب هذه الموسيقى .. هل ترقص معي ؟

ذهب معها فؤاد إلى الرقص ؛ ظلاً يرقصان
معاً لبعض الوقت قبل أن تهتف داليا :

- لماذا لم تتزوج حتى الآن ؟

توقف فؤاد عن الرقص و بدا و كأن السؤال
قد باغته ؛ عادا إلى طاولتهما حيث حمل فؤاد
هاتفه و سدّد ثمن العشاء و خرج معها إلى
سطح الباخرة حيث وقفت داليا تتأمل صفحة
النيل و الأنوار التي تتلألأ على ضفتيه قبل أن
تهتف :

- ألا ترغب في الإجابة على سُؤالي أم أن
السؤال ليست له إجابة من الأساس ؟

هتف فؤاد في أسي :

- نصيب .. قسمة ونصيب .. أي شخص غيرك
كان يسأل هذا السؤال كنت أعطيه هذه
الإجابة .. باقتضاب .. بدون شرح .. بدون
تفاصيل .. و لا أدري لما أشعر بأنني أرغب
في أن أمنحك أنتِ بالذات إجابة صادقة ..

سوء توقيت .. السبب الوحيد في عزوبيتي التي قد تستمر حتى أموت هو سوء التوقيت .. الفتاة الوحيدة التي أحببتها طوال حياتي لم أتعرف عليها إلا بعد أن أصبحت زوجة رجلٍ غيري .. كنت لا أزال طالباً في الجامعة و لا أستطيع أن أطلب بها .. الآن هي زوجة وأم و لا مكان لي في حياتها .. زوجة لرجل لا يحبها و لا يعرف قيمتها و تعيش معه في منتهى التعاسة و أم لأولاد من لحمي و دمي و لا أستطيع أن أؤذيهم .. و عليّ أن أراها طوال الوقت وهي تتعذب و أنا عاجز و لا أستطيع أن أرفع أصبعاً واحداً لأدافع عنها .

انسكبت الدموع على وجه فؤاد فجأة قبل أن يضم داليا إلى صدره و يدفن وجهه في شعرها و هو يجهد بالبكاء .. كان من الواضح أن تأثير الخمر قد ذهب برشده و لم يعد يعي ما يقول ؛ حتى أن داليا لم تكن لتشعر بالدهشة لو أنه لم يتذكر حرفاً واحداً مما باح به في الصباح التالي .

قادت داليا سيارة فؤاد إلى القصر ؛ كان قد أسرف في الشرب حتى فقد وعيه و وضعه

حارساها في سيارته قبل أن يتبعاهما بسيارتها .. كان باسل في الحديقة و قطب جبينه في حدة عندما رأى أخاه و هو على هذه الحالة حتى أنه هتف في توتر :

- ماذا فعلتِ به ؟ .. لم أراه مخموراً لهذا الحد من قبل .. أين كنتما ؟

طلبت داليا من باسل أن يرشد الحارسان إلى غرفة فؤاد و يرجئ معركته معها إلى الغد ثم ذهبت إلى غرفتها ؛ حاولت أن تنام لكنها ظلت مسهدة و هي تفكر في الرجل الذي نبذ حبها من أجل امرأة لا يحبها وربما هي أيضاً لا تحبه و الأسوأ هو أنها قد تكون على علاقة مع أقرب الناس إليه .

في الصباح قررت داليا تناول فطورها في القصر و أرجأت الذهاب إلى المؤسسة ؛ كانت ترغب في أن تر المقيمين في القصر .. والدها الذي لم يكن لديه وقت لها .. ابني باسل اللذين تناولوا الفطور هما وأمهما معها قبل أن تأت الحافلة المدرسية لتقلهما في الساعة صباحاً .. مروة التي جلست مع داليا

في الحديقة و هما تحتسيان الشاي .. كانت
مروة تهتف :

- فؤاد لم يستيقظ بعد .. في الواقع هذه ليست
عادته فهو يذهب إلى مكتبه في ساعة مبكرة
دائماً .

نظرت داليا بطرف عيناها إلى مروة .. هل
كانت ترى نظرة غيرة لا تستطيع مروة أن
تخفيها ؟ .. هل كان على لسانها سؤال يكاد أن
يقفز منه و هي تكبحه في صعوبة ؟ .. سؤال
ألقاه باسل على مسامعها مرة ثم أتى الآن
ليقاطع جلستها مع زوجته و هو يسأله لها من
جديد .

هتفت داليا في برود :

- أنت لم تقل صباح الخير .. ما بال زوجك
يا مروة ؟ .. هل هو عديم الذوق مع الجميع
أم أن هذا استثناء ؟

ظهر الضيق في عيون مروة بينما احتقن وجه
باسل في شدة و هتف :

- فكرة قطع لسانك تغريني بشدة يا أنسة فحاولي
أن تكبقيه قبل أن أفقد السيطرة على نفسي

و أحرملك منه .. انطقي .. ماذا تريدان من
فؤاد ؟

هتقت داليا و هي تنبسم في برود :
- و لما لا تسأله هو عما يريد مني ؟ .. دعوة
العشاء كانت فكرته من الأساس ثم .. ما هي
مشكلتك بالضبط ؟ .. فؤاد ابن عمي ..
و هو شاب ممتاز .. وسيم .. أعزب .. وحر
.. مثلي تماماً .. و أياً ما كنا نخطط له في
المستقبل فهو لا يخصك .

نظرت داليا في عيون باسل في تحدٍ .. كان
يشغل غضباً ربما من فكرة أن يكون فؤاد
مرشحاً لأن يحتل مكانه في المؤسسة لا مكانه
في حياتها ورغم أن داليا كانت تدرك هذا
كانت فكرة أنها تنغص عليه عيشه و تورقه
مريحة كثيراً بالنسبة لها .

تركهما باسل و اختفى داخل القصر فالتفتت
داليا إلى مروة التي بدا وجهها شاحباً و قد
ارتعشت شفرتها السفلى و لمعت عيونها
و كأنها تهم بالبكاء ..

لم تكن داليا واثقة مما جرح مروة بهذه الشدة ..
الغيرة التي اشتعلت في عيون باسل و هو يتحدث معها عن أخيه أم جوهر الحديث نفسه و التلميح الذي ورد في ثنايا كلامها عن ارتباط وشيك قد يجمع بينها و بين فؤاد ؟ ..
وعندما نهضت مروة و قد انحدرت دمعة على وجهها و اختفت داخل القصر باتت داليا واثقة من أنها تعرف الإجابة .

الفصل السابع

في ردهة القصر جلست مروة خلف البيانو و هي تعزف لحناً حزيناً و عيونها شاردة بينما جلس باسل في غرفة المكتب و هو يدخن سيجاراً في عصبية .. كانت النغمات الحزينة تتسلل حتى غرفة فؤاد الذي استيقظ من نومه و هو يشعر بصداق فظيع جعله يطلب من الخادمة قحاً من القهوة و فوجئ بشدة عندما أتت داليا مع الخادمة وهي تهتف في مرح :

- القهوة .. و الفطور .. و قرصان من الاسبرين .. هل هناك طلبات أخرى يا أستاذ فؤاد ؟ .. وعدتني بأن تقلني يوماً إلى المؤسسة و لم أتخيل أن هذا سيجبرني على التأخر عن عملي لهذا الحد .. لا تنس أنني نصف أوروربية و المواعيد لدينا مقدسة خاصةً فيما يخص العمل .

اعتدل فؤاد جالساً على طرف الفراش و هتف :

- أنا آسف يا داليا .. لا أدري ماذا حدث .. ليس من عادتي أن أتأخر عن العمل و لكن ...

قاطعته داليا هاتفة في مرح :

- لا أتحدث معك كرب عمل يا فؤاد لتلتمس الأعدار .. كل ما هناك هو أنني شعرت بالقلق عليك و لم أرغب في مغادرة القصر قبل أن أطمئن و إذا كنت تحتاج إلى إجازة اليوم فلا بأس .. سيتكفل رجلا الأمن بتوصيلي .

نهض فؤاد و هو يهتف بسرعة :

- بل سأفلك أنا بالطبع .. امنحيني نصف ساعة فحسب حتى أستعد .

نزلت داليا إلى ردهة القصر مرة أخرى ؛

اقتربت من البيانو و هتفت :

- عزفك رائع يا مروة .. أنتِ موهوبة .

قبل أن تنطق مروة بحرفٍ واحد كان باسل يقف عند باب المكتب و هو يهتف :

- مروة عازفة ماهرة رغم أن هذا ليس مجال دراستها .. كانت تدرس في كلية الحقوق قبل أن أتزوجها و تترك الدراسة و تتفرغ لرعاية أولادها .

هتفت داليا في ضيق :

- تقصد قبل أن تتخلّ عن طموحها و تسمح لك بأن تستعبدها ..

ثم التفتت إلى مروة و أردفت :

- آسفة .. لم أقصد أن أجرحك .. لكن لو كنت مكانك لم أكن لأسمح لهذا الطاغية بأن يدفن موهبتي و يتفانى في استغلالي .

هذه المرة أيضاً لم تقل مروة حرفاً واحداً فقد هتف باسل في برود :

- لست مكانها يا أنسة داليا و لن تكوني .. روحك القتالية قد تجعلك سيدة أعمال ممتازة و تنجحين في إدارة المؤسسة لكنها في النهاية سنتركك مجرد عانس تجلس فوق تلة من المال و هي تعيسة و محرومة .

اندفعت داليا تغادر القصر و عندما نزل فؤاد إلى الردهة لم تكن موجودة ؛ و عندما سأل عنها هتف باسل في حدة :

- لم تحب سماع الحقيقة و ذهبت لتلحق جراحها في مكانٍ آخر .. هل لديك مانع ؟

دخل باسل إلى المكتب و أغلق الباب خلفه في
عنف فالتفت فؤاد إلى مروة وهتف في حيرة :
- ماذا حدث ؟ .. هل تشاجرا مرة أخرى ؟

أشاحت مروة بعيونها عنه و همست :
- لا أدري .. لست واثقة من أن ما حدث يمكن
أن يكون مشاجرة بالمعنى الحرفي .. باسل
يشك في بعض الأمور التي لا تعجبه و هذا
يجعله هائجاً كذئبٍ مفترس و أنصحك بالألا
تقترب منه و هو في هذه الحالة .

شحب وجه فؤاد بشدة و ابتلع ريقه بصعوبة
و هو يهمس :
- يشك؟! .. فيما يشك بالضبط ؟

نهضت مروة من خلف البيانو و هتفت في
عصبية :
- في أن هناك أمراً خفياً بينك و بين داليا ..
مشروع خطوبة مثلاً .

انفرجت أسارير فؤاد و تنهد في ارتياح قبل
أن يتمتم :
- عجباً .. من أوحى له بهذه الفكرة الغريبة ؟

هتفت مروة في عصبية :

- ليست غريبة .. هي فتاة جميلة و ثرية
و مرغوبة و أنت شاب مناسب و ابن عمها
و .. من الطبيعي أن تتزوج .. أنت لن تظل
أعزباً لآخر عمرك .

رائحة الغيرة كانت تفوح من ثنايا كلامها ..
كانت تشتعل بالغيرة من مجرد الفكرة و لم
يكن هناك سوى معنى واحد لهذا .. معنى كان
فؤاد يعرفه و يتجاهله منذ سنين .. كانت
الفكرة تضيف إلى عذابها عذاباً جديداً ولم يكن
يتحمل أن يفعل هذا بها .. لا يريد أن تتألم
منه أو بسببه ؛ هي تتحمل فوق طاقتها بالفعل
بسبب باسل و لا يريد أن يكون سبباً للمزيد ..
صمت فؤاد طويلاً قبل أن يهمس في تردد :

- لكنني لا أحبها يا مروة .. لو لم يكن مقدر أن
أتزوج من المرأة التي يعشقها قلبي فمن
المؤكد أنني لن أتزوج على الإطلاق .. كما
أن داليا بالتأكيد ليست مغرمة بي و فكرة
الزواج هذه لم تخطر على ذهنها من
الأساس .

لمعت الدموع في عيون مروة و هي تهتف
في انفعال :

- لكن هذه حماقة .. أنت من حقك أن تتزوج ..
من حقك أن تعيش و تستمتع بحياتك و يصبح
لديك أطفال مثل كل الناس .. وداليا فرصة ..
فرصة يحلم بها مليون شاب على الأقل و إذا
.. كانت هناك فرصة لارتباطكما فستكون
أحماً إذا أهدرتها و أهدرت حياتك في حب
امرأة لا تليق بك و لن تكون لك .

صمتت للحظة قبل أن تردف :

- و لا تحبك .

أسرعت مروة ترتقي الدرج إلى الطابق
الأعلى حيث دخلت إلى غرفتها ثم انفجرت
باكية بينما خرج فؤاد إلى الحديقة حيث استقل
سيارته وانطلق بها نحو المؤسسة .. دخل إلى
مكتبه و جلس به للحظات قبل أن تتصل عليه
داليا و تطلبه في مكتبها .

كانت داليا ترغب في أن تتحدث معه عن
خطتها المستقبلية لمواجهة الموقف ؛ كانت

تعبث في أضرار الحاسوب الذي أمامها و هي تهتفت في عصبية :

- منذ بداية عمل المؤسسة و هي مختصة بالمجالات السياحية .. كل ممتلكاتنا عبارة عن فنادق و منتجعات و مطاعم فخمة وبواخر سياحية بالإضافة إلى سلسلة متاجر عملاقة .. و أغلب الظن هو أن الحكومة ستبدأ في تطبيق بضع اجراءات احترازية قد تتضمن إغلاق المطاعم وإيقاف حركة الطيران و تقليص ساعات العمل و ليس من المستبعد أن نضطر إلى إيقاف العمل بالفنادق و البواخر لأن نسبة إشغالها قد تتدنى إلى الصفر .. هذا الوضع مؤقت لكن لا أحد يضمن متى ينتهي كما أنه سيؤدي إلى انخفاض أسهمنا في البورصة و سيجعلنا على حافة الإفلاس .. علينا الآن أن نبحث أوضاع العمالة لأننا سنضطر إلى تسريح بعض العاملين لدينا لتخفيض النفقات أما البعض الآخر و الذي يجب أن نختاره بدقة لأنه من سيقوم عليه عماد العمل بعدما تنتهي هذه الأزمة فيمكننا أن نمنحه إجازة مدفوعة الأجر .. أريدك أن تحسب لي التكلفة التي ستتحملها المؤسسة في هذه الحالة لو أن الوضع قد

انتهى بعد شهر واحد و نفس التكلفة في حالة
استمراره لثلاثة أو ستة أشهر تالية .

هتف فؤاد في حيرة :

- و ماذا عن المصانع ؟ .. لدينا مصنعان
يا داليا و ...

هتفت داليا في حدة :

- المصانع من ممتلكات عائلة الكاشف و ليست
جزءاً من المؤسسة التي أديرها أم أنك لم تعلم
بعد بأن الباشمهندس وضع يده عليها
و أرسل لي إنذاراً رسمياً على يد محضر
يعلمني باستقلاله بإدارتهما عن إدارة المؤسسة
.. أصبنا مشكلته هو الآن و يمكنه حلها
بالطريقة التي يراها مناسبة .

الفصل الثامن

عندما ركبت داليا في سيارة فؤاد و انطلق بها همست
في تردد :

- لا أريد العودة إلى القصر .

تنهد فؤاد في حرارة و هتف :

- و لا أنا .. ما رأيك في جولة في القاهرة ؟ ..
هناك الكثير من الأماكن التي تم استحداثها في
السنوات الماضية و لم تشاهدها .

التفتت نحوه داليا و هتفت :

- ما رأيك في جولة بالسيارة ؟ .. نشترى بعض
الشطائر و العصائر و نتجول على النيل و في
الميادين و فوق كوبري قصر النيل .. سيكون
هذا مدهشاً .

أطاعها فؤاد بلا تردد .. كان يريد الابتعاد عن
القصر بقدر الإمكان فهو لم يكن مستعداً
لمواجهة المرأة التي لم يستطع أن يقول لها
طوال حياته كلمة حب واحدة مع أنه لم يتوقف
عن حبها و لا للحظة واحدة .. تقول أنها لا
تحبه و يعرف كم هي كاذبة .. يعرف أن قلبها

الأحمق أوقعها في غرام آخر شخص من الممكن أن ترتبط به و ارتضى لها العذاب في زواج بلا حب و حب بلا زواج و حياة بلا أمل و مستقبل بلا حياة .

غرقت داليا في أفكارها و كلام باسل لا يزال يتردد في أذنيها .. لم يجرحها أنه لا يزال يتعالى عليها و يرى أنها أقل من أن تكون زوجته رغم أنها كافحت لسنواتٍ طويلة لتصبح امرأة قادرة على أن تبهره و تجعله يندم على أنه قد جرح كرامتها و أهان أنوثتها في يومٍ من الأيام بقدر ما جرحها أنه يراها مجرد فاشلة عاجزة عن أن يكون لها حياة و بيت و زوج .. لا تفهم لما يعاملها بكل تلك القسوة و لا لما يكون حكمه عليها دوماً بكل هذا الجور .. هي لم تذنّب في حقه و لا في حق أحد إلا إذا كان كل ذنبها هو أنها قد أحبته في يومٍ من الأيام و لا زالت لا تستطيع أن تبرأ من هذا الحب .

كان فؤاد قد أوقف السيارة فوق هضبة المقطم وكانت القاهرة تبدو متألئة بالأنوار تحت أقدامهما .. كان المنظر ساحراً لكن ذهنهما

ظل شارداً عن جماله أو عن التركيز في
الشطائر التي بدأ في أكلها في صمت ..
التفتت داليا نحو فؤاد فجأة و هتفت :
- ما رأيك بي ؟

توقف فؤاد عن قضم الشطيرة التي في يده
و التفت نحوها هامساً في تردد :
- من أية ناحية بالضبط ؟

همست داليا في توتر :
- كفتاة .. هل أبدو لك منفرة مثلاً ؟ .. أو ربما
دميمة ؟ .. قل الحقيقة يا فؤاد بالله عليك ..
أنت شاب فكيف ترى فتاة مثلي ؟ ..
أقصد

هتف فؤاد في ضيق :
- ما الذي قاله باسل لك هذا الصباح ؟ .. أعرف
أنه يصبح وغداً لثيماً عندما يرغب و لكن من
الواضح أنه هذه المرة كان أسوأ من هذا
بكثير .

لمعت الدموع في عيون داليا و همست :
 - هذه ليست إجابة يا فؤاد .. أريد أن أسمع
 الحقيقة لو سمحت و أنا لن ألومك عليها .. كل
 ما أريده هو أن تكون أميناً معي وتقول رأيك
 بصراحة .

وضع فؤاد الشطيرة من يده و هتف في
 صدق :

- الرجل الذي لا يرى كم أنت جذابة لابد من أن
 يكون أعمى يا دوللي .. و الذي لا يدرك كم
 أنت قوية و حيوية و منطلقة لابد من أن يكون
 أحماً .. أجمل ما فيك يا عزيزتي هو روحك
 القتالية و عنادك و إصرارك على تنفيذ ما في
 رأسك فهو ما يجعل شخصيتك مثيرة
 و متفردة .

هتفت داليا في مرارة :

- روعي القتالية و إصراري قد يجعلان مني
 سيدة أعمال ناجحة يا فؤاد لكنهما لن يجعللا
 مني امرأة سعيدة و مستقرة .. أنت مثلاً .. هل
 يمكن أن تتزوج بفتاة لأن شخصيتها جذابة
 أو لأنها بالغة الذكاء ؟ .. أو .. بالأحرى ..
 هل يمكن أن تتزوجني أنا بالذات ؟

بهت وجه فؤاد للحظة قبل أن يتظاهر بالمرح
و هو يهتف :

- المشكلة في شطائر الفول .. ما كان عليّ أن
أطاوعك و أشترئها .. لكنني لم أعرف من
قبل أن أولى عوارض التسمم هو الهذيان .

هتفت داليا في مرارة :
- فهمت .. الإجابة هي لا للأسف .

نزلت داليا من السيارة ووقفت تتأمل المنظر
تحت قدميها و قد عقدت ذراعيها حول
صدرها و هي تشعر بأن جسدها يرتجف ..

كانت الدموع تنساب من عيونها في صمت
و هي تعجز عن أن تكبحها و لا تحاول أن
تفعل ..

نزل فؤاد من السيارة و خلع سترته و وضعها
على كتفي داليا قبل أن يهتف :
- الزواج من فتاة مثلك فرصة يتمناها مليون
شاب على الأقل و لكن أنا الأحق الوحيد في
هذا العالم الذي لن يستطيع أن يطبق بأصابعه
عليها .. فأنا .. أنا لست حراً يا داليا .. أنا

أحب امرأة و لديّ أسباب تمنع ارتباطي بها
و مع هذا .. لا أستطيع أن أتزوج و أنا أعلم
أنني سأمنح زوجتي جسداً بلا قلب لأن هذا
ظلم لا أرضاه لك و لا لأية امرأة .

هتفت داليا في لوعة :

- و أنا لا أحبك يا فؤاد و لا أرغب في الزواج
بدون حب .. و لكنني لا أريد أن أصبح عانساً
تعيسة ترقد فوق تلة من المال .. الرجل
الوحيد الذي يتمسك قلبي الأبله بحبه يصر
على أنني لست كفؤاً له .. لا أعرف إلى متى
سيظل يراني أقل من نصف امرأة و لا أفهم
لما يفعل هذا بي .. إذا كانت أمي ايطالية
أو كاثوليكية فهذا ليس ذنبي .. كما أنه ليس
عيباً ليعايرني به ..

مسح فؤاد الدموع عن وجهها و هتف :

- باسل ليس شاباً مندفعاً بل هو رجل في
الأربعين و لديه زوجة و أولاد و أولويات لن
تكون عواطفه نحوك مهما كانت على رأسها
.. من الواضح أن قصة حبك فاشلة مثل
قصتي تماماً يا بنت عمي و لنفس السبب ..

سوء التوقيت .. أنيت متأخرة و لم يعد لك
مكان في حياة باسل للأسف .

هتقت داليا في مرارة :

- هذا لا علاقة له بزواجه أو أولاده بل هو
يرفضني منذ البداية .. حتى من قبل أن
يخطب مروة لم يكن يرغب في حبي ..
المشكلة بي أنا يا فؤاد .. شيء ما يجعله ينفر
مني و يستهين بعواطفني و لا يرغبها .

هتف فؤاد في ارتباك :

- أتقصدين أن عواطفك هذه قديمة و أنك
صارحتِ باسل بها من قبل ؟ .. متى كان
هذا ؟ .. قبل سفرك إلى ايطاليا ؛ أليس
كذلك ؟ .. يا إلهي !! .. هل أنتِ حمقاء
يا دوللي ؟ .. كنتِ مجرد طفلة بالنسبة إليه ..
كم كان عمرك وقتها ؟ .. ثلاثة عشر عاماً أو
أربعة عشر تقريباً ؛ أليس كذلك ؟

هتفت داليا في توتر :

- لا دخل للسن بالعواطف يا فؤاد .. كنت
صغيرة في السن لكنني كنت أحبه ..
و للأسف لا زلت أحبه .. لا السنين غيرت

عواطفى نحوه و لا الخبرة و لا حتى التجارب .. أتظن أنني لم أحاول أن أنساه و أعيش حياتي ؟ .. أتظن أنني لم يكن أمامي ألف فرصة على الأقل لأرتبط برجلٍ غيره ؟ .. لكنني أريده هو .. هو فحسب .. قلبي الأحمق لا يرضى عنه بديلاً .

وضع فؤاد يديه على كتفيها و هتف في رفق :
 - ما أقصده يا عزيزتي هو أنه أياً ما كان قد قاله باسل أو فعله عندما صارحتيه بعواطفك فليس من حقاك أن تلوميه عليه .. أي شاب في السادسة و العشرين من عمره لن تتحرك عواطفه نحو طفلة في سنك وقتها إلا إذا كان مريضاً نفسياً أو مختل العقل و أنا واثق من أن اعترافك الصريح بعواطفك قد صدمه و أربكه .. أنا واثق من أنه قد عاملك بقسوة ربما لا زالت تجرحك حتى الآن لكنه معذور .. باسل قاسٍ بطبيعته و لا يجيد فهم العواطف و حتى إلى الآن .. انظري إلى مروة و ستعرفين ما أقصده ..

بدأت قطرات المطر في التساقط فوق رأسيهما
فعادا إلى السيارة التي انطلق بها فؤاد و هو
يهتف :

- أظن أن المطر سيزداد شدة فمن المتوقع أن
تمر البلاد بموجة من الطقس السيء في نهاية
هذا الأسبوع .

الفصل التاسع

استيقظت داليا في صباح اليوم التالي على صوت ضجة و حركة غير مسبوقه في القصر قبل أن يطرق فؤاد باب غرفتها و يدخل إليها و هو يبدو مضطرباً .. هتفت داليا في استغرب :

- ماذا هناك يا فؤاد ؟

هتف فؤاد في توتر :

- مصيبة يا داليا .. يبدو أن أحد موظفي مصنع اللحوم أصيب بفيروس كورونا و انتقلت منه العدوى إلى باسل على أغلب الظن .

انتفضت داليا بشدة و هتفت في ذعر :

- و أين هو باسل الآن ؟

هتف فؤاد في ذعر :

- لا أدري .. اتصل بي و أيقظني من النوم و أخبرني بأنه سيعزل نفسه منزلياً حتى تنتهي مدة إمكانية العدوى و لكن خارج القصر و لم يقل أين .. المهم هو أنه أرسل إلينا رجالاً سيقومون بتعقيم القصر بالكامل كما أن هناك طبيباً سيفحص الجميع و يجري

لنا التحليلات اللازمة لأننا جميعاً من الممكن أن تكون العدوى قد انتقلت إلينا و لكن الأعراض لم تظهر على أي منا بعد .

لم تعبأ داليا بالعينة التي تم أخذها منها و لا بنتيجة التحليل ؛ و لم تكثرث بالحركة التي ظلت بالقصر طوال النهار و لا بالقرارات التي اضطرت لإتخاذها في المنشآت التابعة للمؤسسة هاتفياً لأنها لم تستطع الخروج من القصر حتى ظهور نتائج التحاليل .. كل ما كانت تفكر فيه هو باسل .. إلى أين ذهب ؟ .. و كيف من الممكن أن يرعى نفسه و هو مريض و لا أحد معه ؟ .. و هل سينجو ؟ .. لا تتحمل فكرة أن يموت أو أنها قد تخسره .. تعرف أنه لا يريد لها و لا مكان لها في حياته رغم أنه حياتها كلها و لا حياة لها بدونه و لا كانت الحياة أصلاً إن لم يكن فيها .

اتصلت داليا على عاصم فقد كانت واثقة من أنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يدلها على المكان الذي قرر باسل أن يختفي به حتى يشفى أو يقضي نحبه و لم تتردد لحظة واحدة

قبل أن تحمل حقيبتها و تركب في سيارة الحرس و تأمرهما بأخذها إلى الاسكندرية .

كان باسل يقف في مطبخ اليخت و هو يحاول أن يصنع بعض الشطائر ؛ كان يشعر بالارتياح فقد اتصل به فؤاد لتوه و طمأنه إلى أن نتائج التحليل قد ظهرت و أن مروة و الأولاد بخير و لم تصيبهم العدوى كما أنها لم تصب أحداً من العاملين في القصر .. تنهت إلى مسامعه صوت زورق يدور على اليخت قبل أن يتوقف فخرج إلى السطح .

عقد باسل حاجبيه بشدة عندما رأى داليا .. كانت تضع على وجهها كاماة و ترتدي قفازات طبية مثله تماماً و هي تقترب منه هاتفة :

- ظننت أنني سأعثر عليك في شقتك القديمة لكن يختك هذا هو آخر مكان كان من الممكن أن يخطر على بالي .. احتاج الأمر إلى يومين لأكتشف أين أنت بالضبط .. ثم .. ألا تسمع نشرة الأخبار ؟ .. موجة من الطقس السيء ستجتاح الدولة كلها الليلة و هذا هو أسوأ مكان يمكننا البقاء به .

هتف باسل في حدة :

- لم أذكر أنني قد وجهت لك الدعوة .. ماذا تفعلين هنا ؟

ابتسمت داليا و هتفت :

- أعزل نفسي منزلياً مع زميل في المحنة .. لا أحب العزل الانفرادي و أنا مريضة .

هتف باسل في توتر :

- هل أصيبتِ ؟ .. و لكن فؤاد طمأنني إلى أن الجميع بخير .

هتفت داليا بسرعة :

- جميعهم بخير بالفعل .. أنا الوحيدة التي أنت تحاليلها إيجابية و من الممكن أن أكون قد التقطت العدوى قبل سفري من روما و لكن كما ترى .. لم تظهر الأعراض بعد .

ازداد توتر باسل و هو يهتف :

- و لكنكِ مريضة ربو شعبي .. أصحاب الأمراض المزمنة أقل قدرة على مقاومة الفيروس للأسف كما أنهم بالتأكيد يحتاجون إلى رعاية طبية خاصة .. عزلك هنا قد يحمي

الآخرين لكنه سيؤذيك .. يجب أن تذهبي إلى
مستشفى العزل حالياً .

هتقت داليا في حيرة :

- هل تقول هذا لأنك مهتم بي بالفعل أم لأنك لا
ترغب في وجودي هنا ؟

ابتسم باسل و هتف ليغیظها :

- أقول هذا لأنه عين العقل يا دوللي .. ولا يمنع
هذا من أنني بالفعل لا أرغب في بقاءك هنا ..
أنت مزجة كثيرة يا آنسة و ليست هذه هي
الصحبة التي أفضلها و أنا على مشارف العالم
الآخر .

وضعت داليا يديها على خصرها و هي
تهتف :

- من منا المزعج الآن ؟ .. عموماً يا ابن العم
.. لا أظن أن العالم الآخر ينتظر تشريفك بهذه
السرعة .. أنت قوي كالثور و نستطيع أن
نعنتي بك حتى تمر هذه الأيام على خير ..
و الآن .. هل لديك طعاماً هنا أم سنتركني
أموت جوعاً قبل أن يقتلني الفيروس ؟

هتف باسل في توتر :

- هل تصرين على البقاء هنا ؟

لمعت عيونها بابتسامة و هي تهتف :

- بالطبع .. و لا تنسَ أنني شريكة في هذا
اليخت و لن يمكنك أن تطردني .. ثم إنني لن
أضيع هذه الفرصة أبداً .. أربعة عشر يوماً
من العزلة معك .. هل هناك فرصة أفضل من
هذه لأغير لك تفكيرك و لأجعل عقلك العنيد
هذا يكتشف أنني أكثر بقليل من مجرد امرأة
لا تدرك قيمتها و تستهين بها ؟

تركها باسل و دخل إلى غرفته ؛ استلقى في
فراشه و هو يفكر في أنه لا يريد لها قريبة منه
إلى هذا الحد .. حياته ركام لا يستطيع رفع
أنقاضه و هو لا يستطيع أن يبينها مرة أخرى
.. لا مع مروة و لا مع داليا و لا مع أية امرأة
أخرى .. أخرج باسل حافظة للصور و أخذ
يطلع الصور الضوئية التي بها .. صور
كثيرة له و لأولاده .. صور له مع مروة في
أيام خطبتها و الشهور الأولى بعد زواجهما
.. و صورة له مع فؤاد و داليا قبل سفرها إلى
إيطاليا .. ابتسم باسل و هو يتذكر المراهقة

الصغيرة التي كانت تلتصق به كظله قبل أن تطرق داليا باب الغرفة و تدخل و هي تحمل كوبيين من اللبن .

هتف باسل في ضيق :

- ماذا تفعلين هنا ؟

جلست داليا و هي تهتف :

- أتيت إلى هنا من أجل الصحبة لا لأحبس نفسي في غرفة و أنت في غرفة أخرى .. ستكون مضطراً طوال الوقت لأن تتحدث معي .. هل هذا مفهوم ؟ .. و اشرب هذا .. لبن محلى بعسل النحل .. يقولون أن شرب السوائل الكثيرة يساعد في ارتفاع نسب الشفاء ..

التقط باسل كوب اللبن من يدها و وضع حافظة الصور جانباً فالتقطتها داليا و أخذت تتأمل الصور الواحدة بعد الأخرى قبل أن تهمس :

- ولدك يشبهانك كثيراً خاصةً شهاب .. لماذا قررت عزل نفسك عنهما ؟

هتف باسل في حزم :

- لصالحهما .. لست مستعداً لتعريضهما للخطر
أم ظننتِ أنني من الممكن أن أعتكف في
غرفتي لأربعة عشر يوماً كاملة دون أن
يخطر أحدهما و يدخل إليّ .. و أنا لست
مستعداً للمخاطرة .

همست داليا في ضيق :

- و ماذا عن مروة ؟ .. أليس من حقك أن تكون
بجانبك الآن ؟

كان باسل يدرك أن هناك الكثير من التفاصيل
في علاقته مع مروة لا يستطيع شرحها كما
أن داليا بالذات هي آخر شخص يمكن أن يعلم
بها لذا لم يكن واثقاً مما عليه أن يقول لذا
صمت للحظة قبل أن يهتف بحزم :

- مصلحة الأولاد قبل كل شيء .. الفيروس
قاتل يا داليا و لا أريد أن يفقد أولادي أباهما
و أمهما معاً .. و ماذا عنك ؟ .. ألم تفكري في
السفر إلى جدك و أنتِ في هذه الظروف ؟ ..
أظن أنه أقرب شخص لكِ .. ربما حتى أقرب
من عمي .

هتفت داليا في استخفاف :

- عمك من ؟ .. أتقصد أبي ؟ .. إنه لا يتذكرني حتى و أنا هنا .. أنا واثقة من أنه لم ينتبه حتى الآن إلى أنني لم أعد موجودة في القصر .. دعك منه و قل لي .. لماذا تحتفظ بهذه الصورة حتى الآن ؟

قالتها و هي تشير إلى صورتها مع فؤاد فصمت باسل طويلاً إذ لم يكن مستعداً لأن يمنحها إجابة .. طلب منها باسل برفق أن تتركه ليرتاح فأغلقت حافظة الصور و وضعتها جانباً ثم غادرت الغرفة في صمت .

تململ باسل في فراشه و هو يحاول أن ينام دون جدوى ؛ كانت حرارته مرتفعة رغم خافض الحرارة الذي وصفه له الطبيب و كان يشعر بالألم في حلقه و رئتيه و هو يسعل بشدة لكن هذا لم يكن هو ما أعجزه عن النوم بل صوت الموج الذي يهدر و هو يضرب اليخت بعنف و كأنه يرغب في تمزيقه و المطر الذي ينهمر من السماء بدون توقف منذ عدة ساعات .

طرقت داليا باب الغرفة قبل أن تدخل إلى
الغرفة و هي تحمل بعض الشطائر و كوبين
بلاستيكيين من الأعشاب و هتفت :

- هذه الأعشاب تفيدني كثيراً في مقاومة نوبات
الربو الشعبي .. أنا لست واثقة من أنها
تستطيع تخفيف أعراض الإصابة لديك لكنها
بالتأكيد قد تفيدك بشكلٍ أو آخر خاصةً أنها
محلة بعسل النحل .. اشربها و هي دافئة
لتكون أكثر فائدة لك .

- اعتدل باسل جالساً في فراشه و ابتسم هاتفاً :
أصبحتِ تتحدثين مثل جدتي آمنة - رحمها
الله - و لم يمر عليكِ في مصر سوى أسبوع
واحد .. لن أستغرب كثيراً لو أمسكتك بعد
شهر من الآن و أنتِ تربيين الكتاكيت في
حديقة القصر الخلفية .

نزعت داليا الكمامة عن وجهها لتشرب
الأعشاب و هتفت :

- جذوري مصرية حتى لو لم أعش في مصر
سوى لأسابيع قليلة و لا تنسَ أن أمي من
نابولي .. و ليكن في علمك .. نابولي لا

تختلف كثيراً عن الاسكندرية .. هل زرتها
من قبل ؟

خلع باسل الكمامة بدوره و التقط الكوب و هو
يهتف :

- قطعاً .. زرت ايطاليا بضع مرات من قبل
حتى أنني قضيت رحلة شهر العسل هناك .

غامت عيونها و هي تهتف :

- لكنك لم تحاول زيارتي و لا لمرة واحدة ..
ألهذا الحد تكره رؤيتي ؟

تراحمت الدموع في عيونها فزفر باسل في
حرارة قبل أن يهمس :

- لا و لكن .. ظننت أن هذا هو الأفضل
يا صغيرتي .. مشاعر المراهقة التي جعلتك
تتعلقين بي كانت تحتاج لبعض الوقت حتى
يمكنك أن تتخلصي منها .. قررت أن أبتعد
عناك بقدر الإمكان لعل هذا يساعدك في أن
تبرئي منها .

موجة عاتية ضربت اليخت بشدة حتى بدا
و كأنه سينقلب .. سقطت داليا من فوق

مقعدها و ارتمت أرضاً فهب باسل من فراشه
و ساعدها على النهوض و هو يهتف في
جزع :
- هل أنت بخير ؟

الحرارة التي تشع من كفه التي تحيط بساعدها
جعلتها تشعر بالذعر حتى أنها لمست جبينه
قبل أن تهتف في جزع :
- حرارتك مرتفعة بدرجة خطيرة جداً .. أظن
أنك يجب أن تذهب إلى المستشفى حالاً .

عاد باسل إلى الفراش و هو يهتف مبتسماً في
شحوب :
- أتمزحين ؟ .. هذه أسوأ نوة شاهدتها في
حياتي و الخروج من اليخت الآن ضرب من
المستحيل .. ثم إنني قد تناولت جرعة
مضاعفة من خافض الحرارة الذي وصفه
الطبيب لي و قد تتحسن الحرارة بعد قليل ..
كما أنني بالفعل أشعر بدوار و لن تحملني
قدمي لخطوتين .. أفضل ما أفعله الآن
يا دوللي هو أن ألتزم بهذا الفراش حتى لا
تضطر فراشة مثلك لأن تحملني من
الأرض .

أعدت داليا وضع الكمامة على وجهها
و مدت يدها إليه و هتفت :

- ساعدي قوية و يمكنك أن تعتمد عليّ .. كما
أن لديّ خبرة في التمريض و التعامل مع
حالات الطوارئ يمكننا أن نستفيد منها الآن .

وقف باسل و هو يتجاهل يدها الممدودة إليه
لكنه ترنح و كاد أن يسقط على الفراش مرة
أخرى لولا أن أحاطت داليا خصره بذراعيها
و هي تهتف في لوعة :

- استند إليّ يا باسل و لا تكابر .. ستفقد الوعي
إذا لم تنخفض هذه الحرارة بسرعة .

كانت حرارته مرتفعة للحد الذي جعل ذهنه
مشوشاً و قدرته على الإدراك تكاد أن تكون
معدومة ؛ أخذته داليا إلى دورة المياه
و فتحت صنوبر الماء شديد البرودة وجعلته
يقف تحته ..

و على الرغم من البرد القارص لم يساعد
الماء على إعادة الوعي إلى باسل لكن
الحرارة بدأت في الانخفاض بينما ظلت داليا
تضم باسل إلى صدرها حتى يظل واقفاً على

قدميه تحت الماء و هي ترتجف من شدة
برودة المياه التي تتدفق فوقها ومن حرارة
العواطف التي تدفقت في سرايينها .

الفصل العاشر

استعاد باسل وعيه بغتة و هو يشعر بذهنه لا يزال مشوشاً ؛ لم يكن واثقاً كم من الوقت قد فقد الوعي بالضبط لكنه كان واثقاً من أنه لم يكن بالوقت القليل فقد كانت العاصفة قد انتهت تماماً و لم يعد لها آثار كما كانت أشعة الشمس تتسلل من النافذة إلى فراشه .

اعتدل باسل جالساً في فراشه ثم شعر بالجزع عندما رأى داليا التي تكورت فوق المقعد و هي تحيط جسدها ببطانية سميقة و قد استغرقت في النوم ..

كان يستطيع سماع صوت أنفاسها المتحشجة و هو يهزها برفق لتستيقظ .. فتحت عيونها و نظرت إليه و هي تهتف في ارتياح :

- أخيراً يا باسل .. الحمد لله .. خشيت للحظة أن أفقدك .

سعلت بشدة و كان صوتها ضعيفاً حتى أنه هتف في قلق :

- لا تبدين بخير يا داليا .. من الواضح أن أعراضك قد ازدادت سوءاً على الرغم من أن حرارتك ليست مرتفعة .

أشارت داليا إلى الكانولا المغروسة في كفها و هتفت :

- لا عليك .. أقل نزلة برد تجعل أعراض كهذه تظهر عليّ بسهولة لكنني أعرف كيف أتعامل معها حتى أنني أصبحت أتعاطى أدويتي في بعض الأحيان بدون اللجوء إلى طبيب ..

سعلت مرة أخرى ثم أردفت :

- لديّ شهادة في التمريض من الصليب الأحمر لأنني شاركت في بعثة لأعمال الإغاثة في أفريقيا .. المهم .. كيف أنت الآن ؟

جلس باسل على طرف فراشه و همس :

- بخير كما أظن .. كم غبت عن الوعي ؟

نهضت داليا وهي تهتف :

- ثلاثة أيام لذا لا بد و أنك تتضور جوعاً .. اغتسل و بدل ثيابك حتى أجهز لنا بعض الطعام .

عندما اغتسل باسل بات يشعر بأنه أفضل حالاً بكثير و كأنه لا خطب به حتى أنه ارتدى ثيابه و الكمامة و الففازات و ذهب إلى المطبخ حيث كانت داليا تستخدم بخاخة في يدها بينما كان وجهها محتقناً بشدة ؛ اقترب منها باسل و هو يهتف في قلق :

- لا تكوني عنيدة .. يجب أن تذهبي إلى المستشفى حالاً .. ماذا لو أصابتك أزمة تنفسية أو إلتهاب رئوي ؟

أعدت داليا وضع الكمامة على وجهها و همست :

- أنا بخير يا باسل صدقني و لا حاجة بي للمستشفى .. أصاب أحياناً بنوبات أسوأ من هذه بكثير لأقل نزلة برد أم أنك قد صدقت بالفعل أنني قد شفيت .. على فكرة .. اتصل فواد على هاتفك كثيراً و أنا واثقة من أن القلق يستبد به .. اتصل به لتطمئنه و لكن ..

صمتت داليا للحظة قبل أن تردف :

- لا تخبره أننا معاً ؛ فلا أحد يعلم شيئاً عن وجودي هنا .

هتف باسل في حيرة :

- حقاً .. كيف ؟ .. أين يظنون أنك موجودة
إذا ؟

هتقت داليا في تردد :

- في الاسكندرية بالفعل و لكن ليس معك ..
أساساً أنت لم تخبر أحداً عن وجودك هنا و أنا
علمت مكانك بمعرفتي و لم أخبرهم .. فؤاد
يعتقد أنني هنا لأستلم سيارتي ومقتنياتتي التي
أنت من ايطاليا عن طريق البحر و أن سوء
الأحوال الجوية هو سبب تأخيري .

حدق باسل في وجهها في استنكار :

- و كيف يصدق فؤاد سبباً تافهاً كهذا بينما أنت
مصابة بالفيروس ؟ .. أي موظف لدينا كان
يمكنه أن يؤدي هذه المهمة .. قولي الحقيقة
يا داليا .. ما الذي تخفيه عني ؟

ظهر التوتر في عيونها و لم تجد ما تقوله ؛
الحقيقة هي آخر شيء ترغب في أن تخبره به
لكنها لم تجد كذبة متقنة تكفي لإقناعه ..
حاولت تغيير دفة الحديث و هي تهتف :

- سيمر علينا الطبيب بعد ساعة تقريباً .. أظن أنه سيعيد لك التحليل اليوم فمن الواضح أنك قد تعاقبت من الفيروس و أمل في أن تأتِ نتيجة التحليل سلبية .. لذا علينا أن نأكل بسرعة .

أشاحت بوجهها عنه و هي تجهز الطعام بسرعة بينما عقد باسل حاجبيه بشدة و هو يتأملها و قد غرق في تفكيرٍ عميق قبل أن يهتف فجأة :

- و لما سيعيد التحليل لي أنا فحسب ؟ .. قد تكون الأعراض الموجودة لديك الآن خاصة بمرضك القديم و لا شأن لها بالفيروس و ربما تأتي تحليلاتك أنتِ أيضاً سلبية .

صمت باسل للحظة قبل أن يردف ببطء :

- أم أنها كانت سلبية من الأساس .

شحب وجه داليا بشدة و النظرة التي في عيونها كانت أبلغ من أي كلام حتى أن باسل قد هتف في حدة :

- لا أصدق .. أعرف رعونتك و تهورك لكن ما فعلتية هذه المرة ليس مجرد تهور بل هو

غباءً مطلق .. هل أنتِ مجنونة ؟ .. كيف
تأتين إلى هنا و تعرضين نفسك إلى خطر
الإصابة بوباءٍ قاتل ؟ .. أين كان عقلك ؟ .. ثم
لماذا ؟! .. ما الذي يجعلك تتصرفين بهذه
الحماسة ؟

هتفت داليا في حدة :

- لأنني أحبك .

بهت وجه باسل بينما لمعت الدموع في عيون
داليا و هي تردف في لوعة :

- قل أنني متهورة .. قل أنني حمقاء .. اتهمني
بالرعونة أو بالجنون .. لكن هذا لن يغير
الخقيقة يا باسل .. أنا أحبك .. كافحت لسنوات
طويلة لأمحوك من قلبي و من تفكيري و لم
أستطع .. أتظن أنني كنت سأتحمل فكرة
موتك ؟ .. أتظن أنني كان من الممكن أن أظل
آمنة في القصر و أتركك هنا وحدك ؟ .. أنت
حرمتني من أن تعيش معي لكن لم يكن من
حقك أن تحرمني من أن أكون معك في الأيام
التي كان من الممكن أن تكون آخر أيام حياتك
.. أنا لم أكن مستعدة لأن أتركك تموت وحيداً

حتى لو كان ثمن وجودي معك و أنت
تحتضر هو حياتي نفسها .

اندفعت داليا تغادر المطبخ و تعود إلى غرفتها
؛ انفجرت باكية و هي تشعر بالألم الذي
يمزق صدرها .. بالكاد كانت تستطيع أن
تلتقط البخاخة وتدفع الرذاذ إلى فمها قبل أن
تشعر بأنها تختنق .. كانت داليا تشعر بأن
أحداً قد أشعل حريقاً في صدرها و تركه
يمتلئ بالدخان عندما حملها باسل بين ذراعيه
و ذهب بها إلى أقرب مستشفى .

جلس باسل في مكتب الطبيب و هو يشعر
بالتوتر ؛ كان يخشى أن تكون العدوى قد
انتقلت منه إلى داليا بالفعل و كان هذا يخيفه
.. تنفس الصعداء عندما هتف الطبيب :

- اطمئن يا باشمهندس .. أمامي نتائج التحليلات
و هي سلبية لك و لها .. من الواضح أنك قد
تعافيت من الفيروس بسرعة لكنني أرى أن
تعود إلى العزل المنزلي من باب الاحتياط
حتى تنتهي مدة الأسبوعين أما الأنسة داليا
فحالتها مستقرة .. من الواضح أنها تعاني من
الربو الشعبي و عرضت نفسها إلى نوبة حادة

من الأنفلونزا .. أسعفناها كما ينبغي لكنني
سأستبقها في المستشفى ليومين حتى تتعافى
تماماً و سأمنع عنها الزيارة .. أقصد زيارتك
أنت بالذات .

هتف باسل في ضيق :

- أتعني أنني لن أستطيع أن أراها ؟

هتف الطبيب بحزم :

- هذا أفضل يا باشمهندس .. فيروس كوفيد –
١٩ فيروس مستحدث و ليست لدينا معلومات
كافية عنه و على الرغم من أنك قد تعافيت
منه لكن لا أحد يستطيع الجزم بأنك لم تعد
قادراً على نقل العدوى و الحالة الصحية
العامة للمريضة تنذر بالخطر .. إذا – لا قدر
الله – أصيبت بالعدوى لا أظن أنها ستكون
سعيدة الحظ مثلك و تتعافى منها .

الفصل الحادي عشر

غادرت داليا المستشفى بعد يومين بالفعل .. كان والدها قد ذهب إليها بمجرد أن اتصل عليه باسل و أخبره بحالتها لكن باسل نفسه قد ترك المستشفى بمجرد أن أجرى هذا الاتصال و لم تره داليا و لم يتصل عليها و كل ما استطاع والدها إخبارها به هو أنه لم يعد إلى القصر بعد .

عادت داليا إلى القصر و هي تفكر في أنها كانت مخطئة عندما تركت روما و عادت إلى القاهرة ؛ لم يكن باسل يريد لها في حياته فيما مضى و لا هو يقبل بوجودها الآن .. و إذا كانت تتخيل أنه من الممكن أن يصبح لها مكان في حياته ذات يوم فهي واهمة و تحلم بالمستحيل .

عاد باسل إلى القصر في صبيحة يوم ٢٥ مارس و هو في أتم صحة و عافية .. استقبله ولده في لهفة بينما كانت مروة هادئة كالعادة و هي تهنئه على شفاؤه .. لامة فؤاد على أنه قد ابتعد عنهم لكل هذه المدة في الوقت الذي كان يحتاج فيه إلى دعمهم ومساندتهم له

لكن باسل لم يكن لديه الكثير ليقوله .. كان يعرف أنه قد فعل الصواب لمصلحة أولاده ولم يكن يرغب في أن يناقشه أحد في قراراته .

تردد باسل للحظات قبل أن يسأل عن داليا .. تبادل فؤاد و مروة النظرات قبل أن تنسحب مروة إلى غرفتها بينما هتف فؤاد :

- لم تعد موجودة هنا .. سافرت إلى روما فجأة و لا أحد يعلم السبب .. حتى أنها قد تركت لعمي توكيلاً عاماً يسمح له بالتصرف في المؤسسة كما يشاء سواء بالبيع أو الإدارة .. قالت لي بالحرف الواحد أنها لا تنوي العودة إلى القاهرة مرة أخرى .

دخل باسل إلى غرفة المكتب و أغلق الباب خلفه .. جلس خلف المكتب و أخفى وجهه بين كفيه و هو يفكر في ألم في أنها قد تركت القاهرة للمرة الثانية و هي مجروحة بسببه .. في الماضي لم يكن يدرك كم جرحها لكنه هذه المرة يعرف أنه قد جرحها في الصميم .. خاطرت بحياتها لمجرد أن ترعاه في مرضه

و تظل بجواره لبضعة أيام قد تكون هي الأخيرة في حياته ثم تركها في المستشفى و هي مريضة و ضعيفة دون حتى أن يحاول الاطمئنان عليها و لو بمكالمة هاتفية .

عاد شهدي من المطار بعد أن ترك ابنته على أبوابه ؛ أخبره فؤاد بأن باسل في غرفة المكتب فدخل إليها بسرعة و هتف في حدة :

- ما الذي بينك وبين داليا ؟ .. ما الذي فعلته بابنتي و جعلها تصر على العودة إلى روما رغم تفشي الوباء هناك بدرجة خطيرة ؟ .. هي تعرف أنها قد تكون أكثر أمناً هنا لأن انتشار الوباء لا زال محدوداً جداً و مع هذا خاطرت بحياتها لمجرد أن تغادر القاهرة قبل عودتك إلى القصر .. قل الحقيقة يا باسل .. ما مشكلتك مع داليا بالضبط ؟

هتف باسل في مرارة :

- سوء التوقيت .. مشكلتي مع ابنتك دوماً هي سوء التوقيت يا عمي .. لا أعرف لما تدخل إلى حياتي دوماً بينما لا يكون الوقت مناسباً لأقول لها ما أشعر به بالفعل .. حتى اليوم ..

ربما لو بكرت في الحضور لساعة واحدة
لأستطعت على الأقل توديعها .

جلس شهدي أمام المكتب و هو يهتف في
أسى :

- البنبت مجروحة بشدة .. أنا لا أدري ما الذي
قلته أو فعلته معها لكنني أعلم أنك أذيتها بشدة
.. داليا قوية و لكن عندما يتعلق الأمر بك
تصبح هشة ومن السهل كسرها .. أنا أعرف
أنني السبب في جزء كبير من مشاكلها ..
فرضت عليها طفولة مشتتة بيني و بين أمها
ثم تركتها تشعر باليتم بعد وفاة صوفيا لمجرد
أنني لم أرغب في أن أدخل في صدام مع
جدها .. لكن بعد أن قررت بنفسها المجئ إلى
هنا و الاستقرار معنا تخيلت أنني أستطيع أن
أبدأ صفحة جديدة معها لكن من الواضح أنني
كنت مخطئاً .. تأخر الوقت .. تأخر كثيراً
للأسف .

طرق فؤاد باب الغرفة قبل أن يدخل ؛ جلس
أمام عمه و هتف :

- هناك شيء يجب أن تعلمه يا عمي .. أنا
قررت السفر إلى روما بعد انتهاء أزمة تفشي

الوباء .. آل أنتونيو سيمنحي وظيفة جيدة هناك و سأستقر في ايطاليا .. أظن أن عليك من الآن البحث عن مدير مالي جديد للمؤسسة حتى أقوم بتدريبه و اطلعه على كل التفاصيل قبل أن أترك العمل .

هتف فؤاد في استنكار :

- ما معنى تستقر في ايطاليا ؟ .. هل تقصد أنك نويت الهجرة إلى هناك بشكل نهائي ؟

زم باسل شفتيه و هتف في حنق :

- و لما ايطاليا بالذات ؟ .. و لماذا الآن ؟

صمت فؤاد قليلاً ثم هتف في حزم :

- لأنني سأتزوج داليا و أستقر معها .

شحب وجه باسل بشدة بينما هتف فؤاد في استغراب :

- تنتزوج داليا؟! .. كيف؟! .. أعني .. هل
تناقشتما في الموضوع؟ .. هل هي موافقة
على الزواج منك؟!!

ثم احتقن وجهه و هو يردف في انفعال :
- و إذا كان الأمر هكذا فلما لم تخبرني بهذا
بنفسها قبل سفرها ؟ .. بل لماذا تسافر من
الأساس ؟ .. إذا كنتما قد اتفقتما على الزواج
بالفعل فمن باب أولى أن ترغب في الاستقرار
معنا لا أن تغويك أنت أيضاً على أن تهجرنا .

هتف فؤاد في هدوء :

- لا أنا و لا داليا نرغب في الاستقرار هنا ..
فكرة الهجرة فكرتي و هي نهائية و لن
أراجع فيها .. أما فكرة زواجي من داليا فهي
لا شأن لها بقراري هذا .. داليا بنت عمي
و أنا أولى بها من الغريب و هي لا مانع لديها
.. كل ما في الأمر هو أننا قد اضطررنا
لتأجيل الزواج حتى تتحسن الأوضاع في
إيطاليا حتى يمكنني السفر .. حاولت إقناعها
بإرجاء سفرها بدورها لكنها لم تسمع لي ..
أحدهم جعل خروجها من هذا القصر ضرورة
ملحة أهم لديها من حياتها نفسها .

هب فؤاد واقفاً و هو يهتف :

- ما الذي يحدث بالضبط ؟ .. أهدك ما يجب أن
يشرح لي ما هي مشكلة ابنتي بالضبط معك
.. كما أنني لن أسمح بالهراء الذي انفقت عليه
معها يا أستاذ فؤاد .. ابنتي عندما تتزوج
ستتزوج هنا .. في بيتي وتحت ولايتي
و سأحتفل بزواجها بالطريقة اللائقة .. هل
تفهم ؟ .. داليا يجب أن تعود إلى القاهرة حالاً
حتى لو اضطررت للسفر خلفها و إعادتها إلى
هنا بالقوة .

نهض باسل و هتف في حزم :

- ليس أنت من سيسافر يا عمي .. أنا السبب في
هذه المشكلة و أنا المسئول عن حلها .. داليا
جعلتني مديناً لها بشكر و اعتذار و من حقها
عليّ أن أذهب خلفها و لو إلى آخر الدنيا
لتسمع اعتذاري و شكري .. ثم إنني الوحيد
هنا الذي أصيب بالفيروس بالفعل و تعافى
منه و هذا يجعلني الوحيد الذي سيكون سفره
مأموناً .

هتف فؤاد في ضيق واضح :

- صدر قرار بإيقاف حركة الطيران نهائياً في منتصف الليل يوم الخميس القادم .. ليس أمامك وقت للسفر و العودة قبل هذا .

التفت باسل إلى شقيقه و هتف في ثقة و ألم لا يستطيع أن يخفيه :

- اطمئن يا فؤاد .. سأعيد إليك خطيبتك و سأشهد على زواجكما بنفسي .. لكنني لن أسمح لك أو لها بالانسلاخ عن العائلة و هجرنا بهذه البساطة .. هذا القصر سيجمع أبناء عائلة الكاشف و أحفادهم و لن يتخلف أحد .. هل هذا مفهوم ؟

رن جرس هاتف فؤاد فنظر إلى الشاشة في استغراب قبل أن يتلقى المكالمة و هو يهتف :

- من أين تتحدثين يا داليا ؟ .. المفروض هو أن تكوني في الطائرة الآن .

أتاه صوت داليا تهتف في ضيق :

- تم إلغاء الرحلة و أنا عالقة في المطار يا فؤاد .. أيمكنك أن تأت لتقلني ؟ .. حاولت الاتصال على أبي لكن هاتفه غير متاح و ...

قاطعها فؤاد هاتفاً في حزم :

- عمي هنا لكنني أنا من سيذهب إليك ..
انتظريني .

- أنهى فؤاد الاتصال ثم التفت إلى شقيقه هاتفاً :
لا تقلق يا باسل .. ستكون الفرصة سانحة
أمامك لتعتذر كما تشاء و لن تضطر للسفر ..
داليا لا تزال في المطار و سأذهب لأحضرها
حالاً .

الفصل الثاني عشر

انطلق فؤاد بسيارته في الطريق من مطار القاهرة إلى
القصر و داليا بجواره ؛ كانت مستاءة لأنها لم تتمكن
من السفر كما لم تكن ترغب في العودة إلى القصر
خاصةً بعد أن أخبرها فؤاد بأن باسل قد عاد إليه

بالفعل .. طلبت منه أن يأخذها لتقييم في أحد الفنادق التي تملكها المؤسسة لكنه هتف :

- ليس هذا ممكناً يا داليا .. عمي لن يقبل به و لا نريد استفزازه فهو متوتر بما يكفي بسببي .. أخبرته للتو بموضوع هجرتي إلى ايطاليا و تركته و هو لا يزال ثائراً على الفكرة ثم .. هناك أمرٌ آخر يجب أن أتحدث به معك أولاً قبل مقابلتك لعمي لكنني لا أدري كيف سيكون شعورك نحوه .

صمت فؤاد للحظة ثم أردف :

- أنا آسف يا داليا .. أعلم أن هذا ليس من حقي و لكن .. أنا أخبرت والدك و باسل بأننا اتفقنا على الخطبة و سننزوج .. لا أدري لما فعلت هذا و لكن .. اعتبري هذا عرضاً يمكنك التفكير فيه .. هل تقبلين الزواج مني يا داليا ؟ أطرقت داليا برأسها و هي تفكر في أنها يجب أن تتصرف و لو لمرة واحدة بحياتها وفقاً لمقاييس العقل لا تبعاً لما يهواه القلب .. باسل يلومها دوماً على أنها صريحة و لا تعرف كيف تخفي عواطفها و تنتكر لها .. يسمي استسلامها لعواطفها رعونة و سيرها خلف

قلبها جنوناً وربما أن الأوان لكي تفتح لنفسها باب القفص و تحلق بعيداً عن سجن باسل الذي حبسها قلبها به لخمسة عشر عاماً كاملة و هي تتعذب بالجوى و الحرمان .

عندما طال صمتها و بات من الواضح أنها قد غرقت في تفكير عميق فكر فؤاد في أنها سترفض عرضه و لم يكن يلومها لو فعلت .. هو نفسه لم يكن يعرف لما فكر في الزواج منها الآن و لم يكن واثقاً من أنه سيستطيع أن يفتح لنفسه باب القفص الذي حبسه فيه حب مروة لخمسة عشر عاماً كاملة و هو يتعذب بالغيرة و الحرمان .

التقت داليا نحو فؤاد و همست :

- لو كان عرضك جاداً فهو لا يحتاج للكثير من التفكير .. أنت ابن عمي يا فؤاد و ربما كنت أكثر شخص في هذا الكون يستطيع أن يفهمني و يتقبلني على ما أنا عليه .. و الزواج منك قد يكون هو أفضل ما أفعله في حياتي .

عادت داليا إلى القصر مع فؤاد بعد أن اتفقا على إعلان خطبتهما بشكل رسمي ؛ بدأ شهدي سعيداً بعودة ابنته إلى القصر مرة أخرى و أخبرها بحسم بأنها يجب أن تحتفل بزواجها في بيت أبيها و جدودها كما أخبرها بأنه يرفض سفرها أو سفر فؤاد بعد الزواج نهائياً فهتقت :

- لا يا أبي .. أنا لن أعارض في تأجيل سفري حتى يتم عقد القران في وجودك و في هذا القصر لكنني لا أنوي الاستقرار هنا .. سأعود إلى روما في أقرب فرصة و فؤاد لا مانع لديه من أن نستقر هناك بشكل نهائي .. ثم .. هل نسيت أنني الوريثة الوحيدة لكل أملاك جدي ؟ .. أظن من الأفضل أن أعود إليه لأتولى إدارة كل شيء بالنيابة عنه .. كانت هذه رغبته منذ البداية و قد فكرت في الأمر و اكتشفت أنه كان محقاً .. عودتي إلى هنا كانت فكرة طفولية و غبية لكنها آخر سطر في صفحة طويلة من الرعونة و التهور قررت أن أمزقها .. من الآن فصاعداً سأحكم عقليو أرى أين صالحي قبل أن أتخذ قرارات حمقاء لا تفعل شيئاً سوى أنها تجعلني ضعيفة و مهانة .

كان باسل يعرف أنها لا توجه كلامها إلى شهدي بقدر ما كانت توجه كلامها إليه ؛ كما كان موقناً من أن قرار زواجها من فؤاد ليس به ذرة عقل واحدة لكنه صوت قلبها المجروح وكرامتها المهانة الذي يعميها و يوجهها كيف يشاء و على الرغم من أن هذا يجعله موقناً من أنها لا تزال تتصرف بتهور و رعونة و طيش إلا أنه لم يكن حانقاً عليها هذه المرة بقدر ما كان حانقاً على نفسه .. فهو الذي أهانها و جرحها و تعالى على عواطفها الصادقة و لم يحاول قط أن يفتح لها قلبه و يجعلها ترى الواقع الذي يكبله بعقله و عينيه .

اقتربت مروة من داليا و هنأتها على الخطبة قبل أن تهنيئ فؤاد ثم تنسحب بسرعة إلى غرفتها حتى لا يلمح أحد دموعها .. تعرف أن ارتباط فؤاد بأية فتاة خطوة تأخرت لسنواتٍ طويلة و كانت ستحدث ذات يومٍ لا محالة سواء ظهرت داليا في حياته أم لا كما كانت تعرف أن هذا ما كان يجب أن يفعله منذ وقتٍ طويل .. من الظلم أن يضيع حياته في

عاطفة كلاهما يعرف أنه لا حاضر لها و لا مستقبل حتى أن أحدهما لا يجروا على أن يعترف بها أو يعلنها ولا حتى أمام الآخر ولا يمكن أن تطلب منه أن يظل إلى آخر عمره مترهبناً في محراب الهوى لامرأة لا تستطيع أن تشاركه حياته أو أن تكون أمّاً لأولاده .. و لن تستطيع .

نكس فؤاد رأسه و هو يفكر في أنه قد أخطأ كثيراً عندما فكر في الزواج من داليا ؛ يشعر بأن هذا الزواج لن يجلب خيراً على أحد فهو لا يبنيه على المودة و الرحمة و التفاهم بقدر ما يشيده على الظلم .. ظلمه للمرأة التي يحبها و لا يستطيع أن يتزوجها ؛ و للمرأة التي سيتزوجها و لا يستطيع أن يحبها ؛ و للأخ الأعشى الذي فرط في فتاة مجنونة بحبه ليحبس نفسه في سجنٍ أبديٍّ مع امرأة ليست سعيدة في ارتباطها به و لا تستطيع أن تسعده .. و حتى ظلمه لنفسه التي يحاول أن ينقذها من الضياع في حبٍ بلا أمل فإذا به يلقئها في زواج بلا حب .. و ربما بلا مستقبل .

شهدي هو الوحيد الذي بدا سعيداً بهذا الزواج على الرغم من إصرار داليا و فؤاد على السفر حتى أنه قرر أن يتم الزواج بسرعة و بدون تأخير .. حتى الظروف الاستثنائية التي تمر بها كل الشعوب مما دفعها لنبذ التجمعات وإغلاق الفنادق و قاعات الاحتفالات لم تمنعه من أن يصر على أن يتم الزواج في يوم الخميس القادم .. في هدوء .. بدون حفل .. و بدون تجمع قد يسبب كوارث صحية .. و بدون ضجة .. و لأن داليا لم تكن ترغب في أن يكون هناك حفلاً للزفاف من الأساس و لم تكن هذه الشكليات تشكل فارقاً لديها وافقته على ما يرغب قبل أن تذهب إلى غرفتها .

دخلت داليا إلى الغرفة و ارتمت في فراشها و انفجرت باكياً ؛ لا تعرف ما الذي ورطت نفسها به لكنها تعرف أن باسل لم يترك أمامها خياراً آخر .. ستثبت له أنها تستطيع أن تحرر نفسها من أسر حبه و تعيش حياتها كأية فتاة في سنها وستتزوج و يصبح لها بيت و أولاد .. زوج لن يكون هو و بيت لا مكان له فيه

و أولاد لن يجمعوا دمه بلحمها و يخلدوا حبها
له لأجيالٍ قادمة .

فجأة شعرت داليا بأنها قد فقدت السيطرة على
حياتها كلها ؛ باتت تعيش وكأنها تؤدي دوراً
في مسرحية وهي لا تدري متى ستحين
النهاية و ينسدل الستار .. طلب منها والدها
أن تذهب لشراء ثوب الزفاف و طلب من
مروة أن تذهب معها .. لم تكن الفتاتان
ترغبان في الخروج معاً لكن إحداهما لم تجد
حجة جيدة تستند إليها و هي تقول له لا لذا لم
يكن أمامهما سوى الطاعة في صمتٍ
و إذعان .

أخذت مروة داليا إلى دار الأزياء التي تتعامل
معها ؛ كانت كل المعروضات أنيقة و مغربية
لكن داليا لم تكن لديها رغبة حقيقية في شراء
ثوب زفاف و لا تدري لما أصر والدها على
هذا أما مروة فقد كانت متوترة .. في حياتها
لم تتخيل أنها ستضطر ذات يوم لأن تختار
بنفسها ثوب زفاف الفتاة التي ستستولي على
فؤاد و يكون لها الحق في كل ما رغبها الحب
به و حرماها القدر منه .

طال بهما الوقوف في دار الأزياء بلا جدوى
فهمست داليا :

- لا أجد هنا شيئاً يناسبني .. لولا أن أبي يتعجل
الزفاف لاخترت ثوباً من ايطاليا لكن
الظروف ليست مناسبة .. أتعلمين أن أمي
- رحمها الله - كانت لديها دار أزياء عريقة
هناك .. لا زالت الدار موجودة و جدي تدبر
من يديرها بدلاً من أمي و أنا اعتدت على أن
أقتني كل ثيابي من هناك .. ما رأيك ؟ .. لو
كنت مكاني أي ثوب كنت ستختارين ؟ .

ابتلعت مروة الغصة التي في حلقها قبل أن
تمد يدها و تنتزع ثوباً من مكانه و هي
تهتف :

- هذا مناسب جداً .. فواد لن يحبه إذا كان
عاريّاً جداً كما أن التصميم الانسيابي سيبرز
جمال قوامك المتناسق هذا .. عموماً .. أنت
جميلة و جذابة وأي ثوب ستختارينه سيكون
مناسباً .

كانت داليا تتأمل مروة و هي تفكر في أنها لا
تجاملها بل هي بالفعل صادقة فيما تقول ..
فكرت في أن مروة شابة لطيفة و لو لم تكن

الغيرة تأكلها لأنها زوجة باسل فلربما
أصبحت صديقتها .. اشترت داليا الثوب ثم
هتفت :

- أليس هناك أي مكان يمكننا قضاء بعض
الوقت به ؟ .. مللت من المكوث في البيت
و أتمنى لو أننا نجد فرصة للتحدث معاً .

هتفت مروة في ضيق :

- للأسف كل الأندية و المطاعم و المقاهي
مغلقة ؛ كما أننا سنضطر للعودة إلى القصر
بسرعة قبل حظر التجوال .. و لكن .. أنا لا
أنام مبكراً و الجو دافئ الليلة و لا مانع لديّ
من السهر في حديقة القصر .. إذا كان هذا
يناسبك .

الفصل الثالث عشر

جلست داليا على الأرجوحة و هي تتأمل الأخوين الذين يقطعان بركة السباحة جيئةً و ذهاباً و هي تشرب القهوة ؛ كان الجو دافئاً كما قالت مروة حتى أنهم قد تناولوا العشاء في الحديقة قبل أن يقرر باسل و فؤاد الاستمتاع بالسباحة لبعض الوقت .. التفتت داليا إلى مروة و هتفت فجأة :

- هل تحبينه ؟

أشاحت مروة بعيونها عن حوض السباحة و التفتت إلى داليا .. ترددت للحظة قبل أن تهتف :

- في الحقيقة .. أنا و باسل لم نتزوج عن حب .. جمعت بيننا ظروف جعلت زواجي منه طوق نجاة لم يستطع إلا أن يعرضه عليّ و لم يكن أمامي سوى أن أقبل به .. أفكر أحياناً في أنه بالتأكيد قد ندم على أنه قد فعل و لا أنكر أنني قد ندمت لبعض الوقت ولكن

صمتت مروة فاحترقت داليا فضولاً إلى أن تسمع المزيد ؛ كانت طوال الوقت تتخيل أن باسل قد تزوج مروة عن حب و أنه لولا حبه

لفتاة مثل مروة لربما لما تسرع في الزواج و لأمهل نفسه بعض الوقت حتى تصبح في سن يسمح له بالتفكير في الزواج منها .. و إذا لم يكن باسل قد تزوج مروة عن حب فلما تزوجها إذاً ؟ .. قفز السؤال إلى شفاه داليا فزفرت مروة في حرارة قبل أن تتمم :

- قابلت باسل لأول مرة عندما أتى ليعزيني .. كان أبي يعمل في مصنع اللحوم الذي كان يديره في ذلك الوقت عمك المهندس شهاب ؛ و الذي كان قد أصيب بالفشل الكلوي و حالته سيئة جداً و كان والدك و باسل يبحثان عن متبرع مناسب ليمنحه إحدى كليتيه .. و كان هذا المتبرع هو أبي .

توقفت داليا عن إرتشاف قهوتها وهي تهتف في اهتمام :

- سمعت أن عمي شهاب مات بسبب الفشل الكلوي قبل زيارتي للقاهرة مع أمي بأسابيع قليلة ؛ لو أن والدك قد تبرع له بكليته فلماذا مات ؟

هتفت مروة في مرارة :

- للأسف كلاهما مات أثناء الجراحة .. كان أبي قد وافق على أن يمنح الباشمهندس كليته في مقابل أن يتكفل الباشمهندس بمصاريف جراحة قلب مفتوح كانت أمي تحتاج إليها و عندما مات كلاهما في الجراحة زارنا باسل ليعزينا و ليخبرنا بأن وفاة أبيه لن تغير شيئاً في إتفاقه مع أبي و أنه مسئول عن مصاريف الجراحة التي تحتاج إليها أمي بالكامل حتى أنه قد أدخلها إلى مستشفى كبيرة متخصصة في جراحات القلب في نفس اليوم ..

سالت الدموع على وجه مروة و هي تردف :

- كانت حالة أمي سيئة و حزنها لوفاة أبي جعلها تزداد سوءاً ؛ حتى أنها عندما خضعت للجراحة دخلت في غيبوبة و ظلت في العناية المركزة لعدة أيام قبل أن تموت .. في أيام قليلة فقدت أبي و أمي معاً و وجدت نفسي و أنا لم أبلغ العشرين من عمري بعد وحيدة في الدنيا بلا سند و في رقبتني أربع أخوات أصغرهن لم تكن قد حصلت على الشهادة الابتدائية بعد .

أطرقت داليا برأسها و هي تفكر في أسى في أنها تعرف معنى أن يكون المرء يتيماً فقد فقدت أمها و هي لا تزال صغيرة لكنها بالتأكيد لم تعرف معنى الفقر و العوز فقد كانت دوماً تتعم بحياة رغدة و مرفهة لكنها على الرغم من هذا كانت تستطيع أن تدرك كم كانت الظروف التي مرت بها مروة صعبة .

مسحت مروة دموعها و هي تهمس :

- كان باسل شهماً معي و مع أختي رغم أنه قد نفذ الإتفاق الذي كان بين والده و أبي و لم يكن مسئولاً عنا لكنه ظل واقفاً بجانبنا .. تكفل بمصاريف دفن أمي و بسداد ديون كانت متراكمة على أبي بسبب مصاريف علاج أمي التي كانت فوق طاقتنا و منحني وظيفة لديه في المؤسسة كما منح أبي معاشاً من ماله الخاص علاوة على المعاش الذي منحتة لنا التأمينات الاجتماعية .. أصبحت أمورنا المالية مستقرة لكنني كنت أشعر بالخوف من المستقبل و من الناس الذين لن يرحموا فتيات يعشن بمفردهن حتى أن الألسنة بدأت تنهش بي لمجرد أن باسل أعادني من المؤسسة إلى

بيتي في الحارة مرة أو مرتين في سيارته ..
 في ذلك الوقت طلبت من باسل أن يخرج من
 حياتنا و شكرته على كل ما قدمه لنا و حاولت
 أن أشرح له أنه لم يعد مضطراً لأن يتحمل
 مسئوليتنا .. لكنه بدلاً من أن ينسحب عرض
 عليّ الزواج و لم يكن من الممكن أن أقول له
 لا .

تهدت مروة في حرارة و وضعت قدح القهوة
 على المائدة وهي تهمس :

- أتذكر ذلك اليوم كأنه قد مر بالأمس .. كدت
 أن أطير من السعادة عندما عرض عليّ باسل
 الزواج .. كنت أتخيل أن هذا سيضع نهاية
 لكل مشاكلي خاصةً أن باسل أدخل أخواتي
 في مدرسة داخلية راقية المستوى جداً و حمل
 عن عاتقي مسئوليتهن .. في الحقيقة كان
 كريماً جداً معنا و لم يتخل عنهن حتى كبرن
 و تخرجن من الجامعة و تزوجن .. أميرة هي
 الوحيدة التي لم تتزوج بعد لكنها تخرجت من
 كلية السياحة و الفنادق و تعمل في الفندق
 الذي تملكه المؤسسة في شرم الشيخ .

حدقت داليا في باسل و فؤاد اللذين لا زالا في
بركة السباحة للحظات قبل أن تلتفت إلى
مروة و تهتف في بطء :

- لم أكن أعلم شيئاً عما حكيتيه الآن .. و في
الحقيقة لم أكن أسألك عن باسل فأنا واثقة من
أنكِ لا تحبينه ولا أظن أنه هو أيضاً يحبك ؛
علاقتكما قد تكون مستقرة لكنها فاترة و هذا
لا يخفى على عين أحد و كلاكما تعيس جداً
على الرغم من أن باسل يكابر و لن يعترف
بهذا .. في الواقع .. كنت أسأل عن فؤاد ..
هل تحبينه كما يحبك ؟

هبت مروة واقفة و قد شحب وجهها بشدة قبل
أن تنسحب إلى القصر و تختفي داخل غرفتها
حتى صباح اليوم التالي أما داليا فقد ظلت
جالسة في مكانها و هي تتأمل الشقيقين حتى
خرج باسل من البركة و أخذ يجفف جسده
و هو يهتف :

- أين ذهبت مروة ؟

هتفت داليا في هدوء :

- إلى غرفتها غالباً .. من الواضح أنها لا تحب
السهر أو أن صحبتي أنا بالذات لا تعجبها .

وضع باسل المنشفة على كتفيه و هو يهتف :
 - مروة انطوائية بعض الشيء و هي تحب العزلة و الاعتكاف في غرفتها في أغلب الوقت لذا .. لا تأخذي الأمر بمحمل شخصي .. ستصبحين سلفتها بعد عدة ساعات و أنا واثق من أنها سترحب بصحبتك .

نهضت داليا و هي تهتف في حدة :
 - لا أظن .. إذا كانت تدرك أنه لم يكن لديّ مانع في أن أصبح ضررتها فلا أظن أنها ستستسيغ صحبتي بعد الآن .

امتقع وجه باسل و هتف في توتر :
 - هذا الحديث لم يعد له معنى الآن .. سنتزوجين شقيقي يا داليا و لن أسمح لكِ بإشعال الفتنة بيننا و خيرٌ لكِ أن تتزعي أوهامك القديمة من رأسك قبل أن تفعلي و إلا ستشعلين ناراً لله وحده الذي يعرف متى تنطفئ .

هتفت داليا في ثورة :
 - لا تخف يا باشمهندس فأنا لست غبية و أعرف كيف تجري الأمور هنا .. كلكم

كالنعام تخفون رؤوسكم في الرمال حتى لا تواجهون الحقائق التي لا تعجبكم .. لكن انتبه .. لأنه قد لا يكون الرمل نقياً كما تتخيله و ستجد نفسك في النهاية تهرب من الحقيقة بأن تدفن رأسك في الطين .. و نصيحتي لك يا باشمهندس هي أن تواجه الواقع و تدعن لمشيئة الرب قبل أن تتلطح و تلتخ كل من حولك في الوحل .

تركته و دخلت إلى القصر بينما خرج فؤاد من البركة و هو يهتف في استغراب :

- ما بها داليا ؟ .. هل كنتما تتشاجران ؟

هتف باسل في اقتضاب :

- خطيبتك متقلبة المزاج و لا أحد يستطيع أن يفهم ما الذي يجعلها طوال الوقت تشتعل كعودٍ من الثقاب .. لكنني أمل في أن تشد وثاقها و تكبح جماحها بسرعة قبل أن يفلت لجامها .. و لا أحد يدري ما الذي قد يدفعها عقلها المتهور لفعله .

هتف فؤاد في ضيق :

- أنت تظلمها و تسيء الحكم عليها .. داليا عاطفية و شفافة .. ليس من العيب أن يكون المرء صادقاً في التعبير عن عواطفه ؛ العيب كل العيب هو أن يعيش بوجهين و يتجاهل الحقيقة و يتظاهر بغير ما يبطن لمجرد أن عقله يقنعه بأنه من الصواب أن يدفن رأسه بالرمل و يهرب من حقيقته و يتنكر لنفسه .

لوى باسل شفنتيه و هتف في ضيق :

- لم تتزوجها بعد و أصبحت تتحدث مثلها ؛ فماذا ستفعل بك بعد شهرين أو ثلاثة ؟ .. اسمع يا فؤاد .. داليا من لحمنا و دمننا و تحمل نفس الجنسية و الديانة لكن هذا في وثيقة سفرها فحسب .. هل تفهمني ؟ .. داليا ايطالية كاثوليكية بحكم النشأة و التربية .. عقلها و شخصيتها و تفكيرها تمت صياغتهم هناك لا هنا .. هي لا تفهم عاداتنا أو تقاليدنا و لا تستطيع أن تقيد عواطفها بلجام العقل أو المسؤولية و هذه مشكلتها معنا أو مشكلتنا نحن معها .. و بما أنها ستصبح زوجتك و أم أولادك فنصيحتي لك من الآن هي أن تبدأ في

استعبادها قبل أن ينفلت لجامها و تستبد بك ..
هل هذا مفهوم ؟

الفصل الرابع عشر

وقفت داليا تتأمل صورتها المنعكسة على سطح المرأة بعد أن ارتدت ثوب زفافها الأبيض اللون و هي تتساءل في ألم :

- هل أنتِ حمقاء ؟ .. كيف تورطين نفسك في إتفاق تعرفين أنه لن يمكنكِ الوفاء به ؟ .. ربما كان باسل محقاً من البداية فأنتِ متهورة و لا تحسنين الحكم على الأمور .. قلبك الأهوج يستبد بكِ و يجعلك تحيدين دوماً عن الصواب .. تعرفين أن فؤاد هو الخيار العقلاني الوحيد أمامك .. ارتباطك به الآن هو الصواب لكن قلبك لا يستطيع أن ينساق لحكم العقل .. قلبك المجنون لا زال أسيراً لدى باسل و لن يمكنكِ أن تفعلي إلا ما يمليه عليكِ همس القلب .. احسمي الأمر الآن بعد أن تواجهي نفسك بالحقيقة .. إذا لم تنتزعي باسل من قلبك الآن فمن الجنون أن تتزوجي فؤاد .. لن يمكنكِ أن تعيشي ممزقة بين رجلين أحدهما يملك أمرك و الآخر يملك قلبك .. لا تلقي نفسك في هذا العذاب .

كانت مروة تتأمل داليا في ثوب زفافها الأبيض و هي تشعر بأن سكيناً قد انغرس في قلبها .. لا تعرف كيف تحمل فؤاد كل هذا الألم لخمسـة عشر عاماً كاملة لكنها واثقة من أنها لن تستطيع أن تتحمـله و لا لليلة واحدة .. لا تطيق أن تراه و هو يتزوج من امرأةٍ أخرى رغم أنها تعلم أنه يفعل الصواب .. تعلم أنه من المستحيل أن تكون له في يومٍ من الأيام حتى لو ظل ينتظرها إلى الأبد .. ومن الظلم أن يفعل .

تأملت داليا مروة التي وقفت بجوارها و هي تمسك باقة الورد في يدها لتناولها لها .. لأول مرة كانت تستطيع أن ترَ الدموع التي تنزاحم في عيون مروة و هي لا تستطيع أن تكبحها و كانت تعرف لما هذه الدموع لأنها تعرف جيداً هذا الألم .. هذه المرة لم تكن ترى مروة التي حرمتها من باسل و انتزعتـه منها بل كانت ترى امرأة محطمة رغم أنها تتظاهر بالتماسك و لم تكن داليا تشعر بالغيرة منها بقدر ما كانت تشعر بالتعاطف حتى أنها همست :

- تحبينه .. أليس كذلك ؟

هذه المرة كانت مروة تفهم عن تسأل داليا بالضبط و لأول مرة لم تستطع إلا أن تعترف بما يملك زمام القلب .. انهمرت الدموع على وجه مروة و كانت أصدق من أي كلام .. همست داليا في ألم :

- بماذا تشعر امرأة ممزقة بين رجلين ؟ .. أنا لا ألومك فأنا آخر شخص يحق له أن يرميك بحجر ولكن أنا فقط .. أنا أسير لنفس المصير على قدمي و أريد أن أعرف ما ينتظرني فحسب .. اصدقيني القول يا مروة .. كيف استطعت أن تعيشي مع باسل و في قلبك رجلاً آخر طوال هذه السنوات ؟

- أجهشت مروة بالبكاء و هي تهتف في لوعة :
و من أدراك أنني استطعت أن أعيش مع باسل من الأساس ؟ .. حياتي مع باسل تحطمت منذ عدنا من شهر العسل و قابلت فؤاد .. لم أعد أستطيع أن أمضي في حياتي وأنا أشعر بأنني ساقطة تخدع زوجها بعد أن فرطت في أول شيء يملكه فيها .. شعورها نحوه .. أنا حاولت كثيراً أن أخرس صوت قلبي و أن أتذكر أنني زوجة لرجل لا يستحق مني أن أغدر به .. حاولت أن أفكر في

الجنين الذي ينمو في أحشائي و أتذكر أن من حقه عليّ أن أحافظ له على الأب و البيت و الحياة المستقرة .. فكرت في كل كلام العقل و المنطق و الحكمة و المسؤولية لكنني في النهاية انهزمت أمام قلبي .. لم أستطع أن أستمر مع باسل .. أنتِ لا تعرفين شعور امرأة تفكر طوال الوقت في رجلٍ آخر حتى و هي في حضن زوجها .. هذا هو الجحيم بعينه يا داليا و أنا لم أستطع أن أتحملة ولا أنتِ ستستطيعين احتماله صدقيني .. قلبك الأحمق ستكون له الكلمة العليا في النهاية و لن تستطيعي أن تهربي منه إلى الأبد .

أخفت مروة وجهها بين كفيها و هي تبكي في حرقه بينما ظلت داليا تتأملها بعيون دامعة قبل أن تهمس :

- و هل تعرفين أنتِ شعور امرأة تفكر طوال الوقت في رجل و هي تعرف أنه في أحضان امرأةٍ أخرى ؟ .. امرأة فضلها عليها و اختار بملء إرادته أن يبنذها لأجلها .. أنا ظللت طوال خمسة عشر عاماً كاملة أتعذب بسببك .. أنتِ لا تعرفين كم كنت أكرهك و أنا حتى لا أعرفك .. لكنني الآن لا أستطيع أن أكرهك

يا مروة .. أتعرفين لما ؟ .. لأنك ستجربين نفس هذا العذاب بعد دقائق عندما أتزوج فؤاد .. و صدقيني .. كل ما قاسيته في الماضي قد يكون لا شيء بجوار ما ستقاسينه بعد قليل .

جلس فؤاد في ردهة القصر مع عمه و أخيه و المأذون و قلة من الناس دعاهم شهدي لحضور عقد القران ؛ كان يشعر بأنه يرتكب أكبر حماقة في حياته .. داليا عروس قد يحسده عليها كل الناس لكنه في النهاية ينتكر لقلبه و عواطفه و يورطها معه في حياة قد تكون هي التعاسة نفسها .. للحظة شعر بالندم على أنه قد فكر في مسألة الزواج هذه و أقنعها بها .. لا هي ترغب بالفعل في أن تكون زوجة له و لا هو واثق فعلاً من أنه قد يستطيع أن يكون زوجاً جديراً بها .

اقترب باسل من فؤاد و هتف في توتر :
 - ما بك ؟ .. تبدو و كأن العالم سينقلب فوق رأسك على عقبه .. اذهب إلى غرفة داليا و لا تأتِ إلا و هي معك .. المأذون و الضيوف لن يمكنهم البقاء أكثر من هذا حتى لا يفوتهم موعد حظر التجوال .

رفع فؤاد عينيه إلى باسل و هو يفكر في
حيرة :

- إلى متى يا باسل ستظل تتجاهل كل الحب
الذي تكنه داليا لك و تتكبر عليه ؟ .. هل أنت
أحمق للحد الذي يجعلك تتعامى عن مشاعرها
الصادقة نحوك إلى الأبد ؟ .. و أنا ؟ .. ألسنتُ
أحمقاً عندما أختار الزواج من الفتاة التي
أعرف جيداً أن قلبها ملكاً لك لمجرد أنني لا
أستطيع الزواج ممن يهواها قلبي لأنك أنت
أيضاً من يقف بيني و بينها ؟ .. و سيظل يقف
بينني و بينها .. لا .. هذا جنون و من
المستحيل أن يستمر .. يجب أن أضع حداً له
قبل فوات الأوان .

نهض فؤاد و ارتقى السلم إلى الطابق العلوي
؛ طرق باب غرفة داليا قبل أن يدخل ثم نظر
إلى الغرفة الخالية في حيرة قبل أن يشعر
بالأنامل الرقيقة التي لمست كتفه ..

التفت إلى مروة التي كانت الدموع لا تزال
تلتخ وجوها بكحل عينيهما و هي تهمس :

- داليا ذهبت .. تركت لك رسالة على الواتس أب لتعتذر عن أنها لن تستطيع أن تواصل هذه الكذبة لكن من الواضح أنك لم ترها .. لا تلومها على أنها قد تراجع لأنها فعلت الصواب .. العقل و الحكمة هما أن يعرف المرء نفسه و احتياجاته لا أن يظل يكابر و يعاند و يناطح القدر .. ليتنا جميعاً كانت لنا نفس شجاعتها و أولنا الأحمق الذي يستعد الآن لأن يشهد على عقد زواجها مع أنه يعرف جيداً أين تركت قلبها بالضبط .

أمسك فؤاد هاتفه و بحث عن الرسالة و قرأ فيها :

- آسفة يا فؤاد .. عقلي يخبرني بأنك أفضل رجل عرفته في حياتي و أن ارتباطنا هو عين الصواب لكن قلبي له رأيٍ آخر و أنا للأسف لا أستطيع أن أتجاهل صوت قلبي .. سامحني .

أعاد فؤاد الهاتف إلى سترته و هتف :

- و أين هي داليا الآن ؟

همست مروة في أسي :

- تركت القصر .. تقول أنه لم يعد من الملائم أن تظل هنا بعد أن ورطتك و ورطت أبيها في هذا الموقف المخجل و ستتصل على جدها ليساعدها على العودة إلى روما في أسرع وقت .. أظن أننا سنجد فرصة لتتصل بها و نطمئن عليها قبل السفر .. و أنت ؟ .. ألا زلت تفكر في الهجرة ؟

هتف فؤاد في ألم :

- تعرفين أن هذا ما كان يجب أن أفعله منذ وقتٍ طويل يا مروة .. بقائي هنا عذاب لم أعد أطيقه و لست مضطراً لاحتماله أكثر من هذا .. أنا أيضاً سأغادر القصر الآن و سأسافر مع داليا .. سأعمل في المصرف الذي يملكه جدها هناك و هو سيساعدني في الحصول على إقامة هناك .. ولا أظن أنني سأعود إلى القاهرة مرة أخرى .

هتفت مروة في لوعة :

- أتعني أنني لن أراك أبداً مرة أخرى ؟

لمعت الدموع في عيون فؤاد و هو يهتف :
 - بل أعني أنني لن أعذبك معي بعد الآن .. من
 الحماسة أن تتركى النار بجوار البنزين و أنتِ
 لستِ مستعدة لمواجهة الحريق و أنا لم أعد
 مستعداً للمخاطرة بعد الآن لأنني لم أعد واثقاً
 من أنني أستطيع أن أكبح عواطفى و أنتكر
 لها بأكثر مما فعلت .

أجهشت مروة بالبكاء فهمس فؤاد في ألم :
 - أنا أسف يا مروة .. وجودى فى حياتك لم
 يسبب لكِ سوى التعاسة و الشقاء و لا يمكن
 أن أسمح باستمرار هذا بعد الآن .. أنا و أنتِ
 نعرف جيداً أنكِ لستِ مستعدة لخسارة أولادك
 و أنا لست مستعداً لخسارة أخى الوحيد .. لذا
 يجب أن أخرج من هذا القصر قبل فوات
 الأوان .

تهاوت مروة جالسة عند أقرب مقعد إليها
 و أخفت وجهها بين كفيها و هى تنفجر باكياً
 فى حرقه .

كاد فؤاد أن يربت على كتفها لكنه منع يده
 قبل أن تلمسها و ابتلع دموعه مع الغصة التى

في حلقه و هم بأن يغادر الغرفة .. عندما رأى
باسل الواقف عند باب الغرفة المفتوح و هو
يتأملهما في ذهول .

الفصل الخامس عشر

بهت وجه فؤاد في شدة و هو يحرق في وجه باسل ؛ كانت تكفي نظرة واحدة إلى الصدمة التي في عيون باسل ليدرك فؤاد أن جزءاً كبيراً من حديثهما قد وصل إلى مسامعه و الله وحده هو الذي يعلم ما الذي قد فهمه منه بالضبط .. انتفضت مروة عندما هتف فؤاد :

- باسل .. أرجوك لا تتهور .. دعني أشرح لك .

هبت مروة واقفة و التفتت نحو باسل و هي ترتجف ؛ بينما هتف باسل في ذهول :

- أنت و مروة؟! .. مستحيل .

هتف فؤاد في لوعة :

- اسمعني يا باسل أرجوك .. أنا و مروة لم نذنب في حقك .. أنا لا أنكر عواطفني نحوها لكن هذا ليس بيدها و لا بيدي .. أنا و هي حفظناك فيما نملك فلا تحاسبنا أنت على ما لا نملك .. باسل .. أنا .. أنا لم أنس و لا للحظة واحدة أن مروة زوجتك و أم أولادك و لا هي نست هذا صدقتي .. كلانا قاوم باستماتة و لكن ..

- قاطعہ باسل هاتفاً في حدة :
- مروة أم أولادي لكنها ليست زوجتي .

- هتف فؤاد في انفعال :
- لا يا باسل أرجوك .. اسمعني لو سمحت ..
أنا الذي يجب أن ينسحب الآن و هذا ما
سأفعله .. سأسافر مع داليا إلى روما و أعذك
بأنك لن تراني مرة أخرى .. مروة تحملت
الكثير لتحافظ على بيتها و استقرار أولادها
و أنت أيضاً يجب أن تفكر في أولادك قبل
أن

- قاطعہ باسل هاتفاً في حدة :
- أنا لا أفكر سوى في أولادي .. هل تفهم ؟ ..
و لولا أولادي لما وافقت على أن أتظاهر
طوال أربعة عشر عاماً كاملة و أكثر بأن هذه
المرأة لا تزال في عصمتي .. أليس كذلك
يا مروة هانم ؟

- هتف فؤاد في حيرة :
- لا أفهم .. ما معنى هذا ؟

انهمرت الدموع على وجه مروة و نظرت
إلى باسل في توسل و هي تهمس :
- دعني أنا أشرح له .. أرجوك .

ثم التفتت إلى فؤاد و هي تردف في لوعة :
- أنا و باسل انفصلنا بعد زواجنا بأربعة شهور
و انتهت عدتي بولادة شهدي و شهاب ..
انتقلنا للإقامة بالقصر عقب ولادتي لأن عدتي
انتهت و لم نرغب في أن يتربى التوأم بعيداً
عن حضني أو حضن أبيهم .. هنا كان من
الممكن أن نقيم في غرفتين منفصلتين و يكبر
الأولاد بيننا دون أن يلاحظ أحد أن علاقتنا
كزوجين قد انتهت .

شحب وجه فؤاد بشدة قبل أن يهمس :
- أنا لا أصدق .. كيف أخفيتما الأمر لكل هذا
الوقت ؟ .. ولما ؟

هتف باسل في هدوء :
- لم نخطط للاستمرار في إخفاء طلاقنا لكل هذه
المدة .. كل ما طلبته مروة هو مهلة ليكبر
التوأم قليلاً و تستطيع أن تتدبر أمورنا لكنني
كنت مسئولاً عنها و عن أخواتها كما كنت

مسئولاً عن أولادي .. ديين في رقبتني و وعد
 قطعته على نفسي أمام أبيها - رحمه الله -
 قبل أن يموت و أنت تعرف أنني أفي بعهودي
 .. عندما لم تطلب مروة إعلان الطلاق قررت
 أن يستمر الوضع على ما هو عليه حفاظاً
 على استقرار الأولاد .. لم أكن مستعداً لأن
 يخرج الأولاد من قصر جدودهم ولا أن
 يبتعدوا عن حضني لكنني لم أتخيل أبداً ما
 نجحتم في إخفائه حتى الآن .

نظر فؤاد إلى مروة و هتف في استنكار :
 - لماذا لم تخبريني ؟ .. كيف تركتيني أتعذب
 بالشعور بالذنب كل هذا الوقت ؟

هتفت مروة في لوعة :
 - أي ذنب ؟! .. أنت لم تقل لي كلمة حب واحدة
 طوال حياتك .. كنت تتجنبني كما لو كنت كلباً
 أجرب .. كما أن كوني زوجة أخيك
 أو مطلقته لم و لن يغير أي شيء .. لا زلت
 أم أولاده و لا زلت لن تستطيع أن تعلن حبك
 لي .. الحب الذي ظللت تخفيه في عينيك
 و بين ضلوعك ستظل ملزماً بأن تدفنه إلى
 الأبد و سيظل كلانا يتعذب بالوحدة

و الحرمان حتى يموت .. الحب لعنة لا نستطيع أن نشفى منها و لن نستطيع .

أخفت مروة وجهها بين يديها و أجهشت بالبكاء ؛ كان فؤاد ينظر لها في لوعة و هو يتمنى أن يأخذها بين ذراعيه لكنه لم يستطع أن يفعل .. تنهد باسل في حرارة قبل أن يهتف :

- أتعرف؟! .. لو كنت مكانك لما ترددت .

نظر فؤاد إلى شقيقه في حيرة فأردف باسل في لامبالاة :

- مروة أم أولادي لكنها مطلقتي منذ سنين .. كان من الطبيعي أن أتوقع أنها ذات يوم ستفكر في الزواج و سترغب في إعلان طلاقنا .. لا أنكر أنه كان من المستحيل أن يخطر على ذهني أن يكون ذلك الزوج هو أنت و لكن .. لا بأس .. على الأقل سينكفل هذا بأن يظل الأولاد هنا في القصر و أنا مطمئن على أنهما تحت رعاية عمهما لا في حجر رجلٍ غريب .. بالتأكيد سنحتاج لبضعة أشهر حتى يتأقلم الجميع على فكرة طلاقنا من

مرورة و زواجها منك لذا لن أضيع وقتاً
و سأترك القصر الليلة بعد أن نعلن الطلاق .

رفعت مرورة رأسها و نظرت إلى باسل في
ذهول و هي تهمس :

- أتعني أنك ستقبل بفكرة زواجي من أخيك ؟ ..
ألست غاضباً ؟ .. ألن تحاول أن تنتزع مني
الأولاد ؟

بينما هتف فؤاد في توتر :

- باسل أنت شقيقي الوحيد و أنا لست مستعداً
لخسارتك بأي ثمن .. أنا ...

وضع باسل يده على كتف فؤاد و هتف في
حسم :

- لن تخسرني .. لا شيء في هذا العالم يمكن
أن يفرق بيني و بينك و لو أن تلك الحمقاء قد
صارحتني بالحقيقة عندما طلبت الطلاق لربما
وفرت عليكما عذاباً طويلاً لا يطاق .. عموماً
يا فؤاد .. المولى - عز و جل - لم يحرم
عليك الزواج من أرملي أو مطلقتي ؛ فلماذا
أحرم أنا ما لم يحرمه الله ؟ .. و على فكرة ..
هناك مأذون لا زال ينتظر في الردهة و لا

زلت مستعداً لأن أشهد على عقد زواجك الليلة
 .. و دع الأولاد لي .. أنا سأعرف كيف
 أفنعمهم بأن طلاقى من أهم أو زواجها منك
 لن يغير شيئاً بالنسبة لهم .. حتى أنني
 سأخبرهم بأنني أنا أيضاً سأتزوج في أقرب
 فرصة .. المهم هو أن أعثر على الحمقاء التي
 علمتني أن العقل قد يعمى عما يستطيع أن
 يبصره القلب .

مسحت مروة الدموع عن وجهها و هي تهتف
 في سرعة :
 - لن يكون العثور عليها صعباً فأنا أعرف أين
 ذهبت بالضبط .

النهاية

وقفت داليا فوق سطح اليخت وهي تتأمل البحر بزرقة مياهه و السماء الصافية فوقه ؛ لا تعرف كيف تقبل فواد تراجعها عن الزواج هكذا في آخر لحظة و لا كيف يتعامل والدها مع الموقف .. أغلقت هاتفها و هي تغادر القصر لأنها لا ترغب في أن يتحدث معها أحد و كل ما كان يهمها هو الابتعاد بسرعة قبل أن تزداد الأمور تعقيداً حتى أنها ذهبت رأساً إلى الاسكندرية دون أن تهتم بحظر التجوال .

تحسست ثوب زفافها الأبيض الذي لم تنزعه بعد و سألت دمة على وجهها و هي تفكر في باسل .. حبيبها العنيد الذي لا يريد أن يرَ كم تحبه و تذكرت حديثها مع مروة قبل أن تغادر القصر .. كانت تهتف في ألم :

- أنتِ لا تعرفين كم كنت أكرهك و أنا حتى لا أعرفك .. لكنني الآن لا أستطيع أن أكرهك يا مروة .. أتُعرفين لما ؟ .. لأنكِ ستجربين نفس هذا العذاب بعد دقائق عندما أتزوج فؤاد

.. و صدقيني .. كل ما قاسيته في الماضي قد يكون لا شيء بجوار ما ستقاسينه بعد قليل .

ثم أردفت :

- لكنني في الحقيقة لن أستطيع أن أفعل هذا بكِ و لا بنفسي .. حتى فؤاد .. قد يتخيل أنه يستطيع أن يصم أذنيه عن صوت قلبه و يشاركني كل ما كان يتمنى أن تتشاركاه معاً لكنه لن يستطيع أن يفعل .. ربما ما كان يجب أن أعود من روما و أنكأ جراح الجميع .. ربما خدعني قلبي و جعلني أمل في أن أجد لي مكاناً في حياة باسل لكنني كنت موهومة .. عليّ أن أعترف بالواقع الذي يتمسك به باسل و لا يرغب في تغييره .. هو لا يريد سواك و أنا لم أعد قادرة على أن أتحمل هذا الوضع أكثر من هذا .

هتفت مروة في أسي :

- في حياتي لم أفهم باسل أو أعرف كيف يفكر لكنني لم أحتار في أمره كما احترت في جفائه معك .. هو شخص عقلائي و متزن كما أنه عطف و كريم لكن عندما يتعلق الأمر بكِ يتصرف بقسوة لم أعدها به و كأن .. و كأن

شيئاً ما يضغط على أعصابه بشدة و لا يريد أن يبوح به و لا حتى أمام نفسه .. ألا تعلمين لما يتصرف معك بهذه الغرابة ؟

نزعت داليا الطرحة عن رأسها و ألقته فوق الفراش و همست :

- لا .. لكنني أعرف أنني بالنسبة إليه مجرد فتاة طائشة و لا تليق به .. لا شيء بي يغريه لأن يتشاطر جزءاً من حياته معي حتى ثروتي العريضة .. في الماضي فضل زواجه منك على أن يخطبني و الآن فضل استقرار زواجكما على أن يقبلني كزوجة .. مع أنني لم أمانع في أن يجمع بيننا .

أطرقت مروة برأسها للحظة قبل أن تهمس في تردد :

- قبل أن تذهبي يا داليا أريد أن أشاركك سراً لا يعلمه أحد في هذا القصر سوى أنا و باسل .. أعرف أنه سيؤلمك و لكن .. ربما كان من الأفضل أن تواجهي الحقيقة بدلاً من أن تتألمي في حب رجل لا يشاركك عواطفك و لا يرغبها .. أنا و باسل منفصلان .. أعني .. هو لم يرفض أن يجمع بيننا لأنه في

الحقيقة مطلق و يعلم جيداً أنه لو كان يرغب في الزواج منك أو من أية امرأة أخرى فلن يكون لديّ اعتراض .. استقراره في زواجه هو آخر سبب يمكن أن يجعل باسل يتردد في الزواج منك لأنه لا وجود لزواجه هذا من الأساس .

أفاقت داليا من ذكرياتها و هي تجهش في البكاء و تهتف في لوعة :

- لماذا يا حبيبي ؟ .. لماذا لم تعرف قط قيمة حبي وتقدره ؟ .. لماذا تتكبر على قلبي و تتجبر عليه ؟ .. ماذا فعلت لك لتفعل هذا بي ؟

أثاها صوت باسل يهتف في أسى :

- لا شيء يا حبيبتي .. المشكلة لم تكن قط بك بل بي .. أنا الأعمى الذي لا يستطيع أن يبصر حقيقة ما في قلبه و يستسلم له .

التفتت داليا إلى باسل .. لم تكن واثقة مما إذا كانت تراه بالفعل و أنه موجود حقيقةً على سطح اليخت أم أنها تتخيل لكنه مد أنامله

و مسح الدموع عن وجهها و هو يهمس في
حنان :

- المشكلة الوحيدة التي تزعجني دوماً بك
يا حبيبتي هي أنكِ بالفعل متهورة .. ألم تجدي
مكاناً أفضل من هنا لتذهبي إليه ؟ .. مريض
كورونا كان يعزل نفسه هنا أم أنكِ قد نسيتِ ؟
.. يخيل لي أنكِ مصرة على أن تصابي
بالعدوى .

لمست داليا كفه التي لا تزال تلمس خدها برقة
وهمست :

- لم أخطر بشيء .. أعرف كم أنت حريص
و واثقة من أنكِ عقت اليخت جيداً بعد أن
تعافيت .. لكنني بالفعل لا مانع لديّ من أن
أصاب بالعدوى و لا مشكلة لديّ في أن أموت
.. أنت لم تترك لي أملاً واحداً أحيا لأجله ..
حياتي كلها مجرد هباء لا معنى له لأنني لا
أريد أن أظل تعيسة للأبد و سجيناً في حبٍ لا
تقدره و لا تريده .

خيل إليها بالفعل أنها تحلم .. باتت واثقة من
أنها ربما أصيبت بالعدوى لأنها كانت تهذي

بشدة و تتخيل أمراً ما كان ليحدث في الواقع
قط فقد مال باسل نحوها و قبلها في حرارة .

توقف باسل عن تقبيلها للحظة و همس :
- لا أريدك أن تموتي و لا حتى لأجلي .. أريدك
أن تعيشي معي في السعادة التي أحلم بها
و أتمناها .

عاود تقبيلها مرة بعد مرة ؛ لم يعد يهمها ما
إذا كان هذا حتماً أم حقيقة فكل ما تريده هو
أن تظل بين يديه للأبد .. انتفضت عندما
سمعت فؤاد يفتعل السعال قبل أن يهتف :
- احم.. احم .. نحن هنا .

توقف باسل عن تقبيلها لكنه أحاط كتفها
بساعده و التفت نحو فؤاد و هو يهتف :
- ماذا تفعل هنا ؟ .. اتفقنا على أن تنتظر أنت
و زوجتك في السيارة .. هذه اللحظة لنا نحن
فحسب .

ضحك فؤاد و هو يهتف في مرح :
- خشيت أن ننتظر طويلاً فأنتيت لأذكرك بأن
عمي و المأذون ينتظران في الفندق على جمر

النار و لا يصح أن نتأخر عليهما .. قلتي لهذا الرجل شيئاً يا داليا و بدلي هذا الثوب يا عزيزتي لأننا لا زلنا في أول النهار و لن يكون ارتداؤه ملائماً .

تتهتت داليا و هتفت في استياء :

- أنا أهذي بالفعل .. سمعت أن انقطاع الأكسجين عن المخ يؤدي إلى حالة سيئة من الهذيان و لكنني لم أتخيلها هكذا .. هل هذا يعني أنني في سكرات الموت ؟ .. ألا زال لدي وقت كي أنطق بالشهادة ؟

انفجر فؤاد ضاحكاً بينما ابتسم باسل و مسح بيده على شعرها و هو يهتف :

- حبيبتي .. أنت لا تهذين كما أنك لست مريضة .. كل ما هناك هو أنني قد أدركت فجأة أنك محقة و أنني يجب ألا أدفن رأسي في الرمال و أتجاهل الحقيقة .. حقيقة مثل أنك بنت عمي مثلاً و أنني أولى بك .. أو حقيقة مثل أنه من الحماقة أن أحرم نفسي من متعة مشاركة حياتي مع امرأة تحبني للحد الذي جعلها مستعدة لأن تموت لأجلي مثلاً .. أو حقيقة مثل أنني بالفعل لست مستعداً لأن أخسر

يا داليا و سواء قررت الاستقرار في روما
أو القاهرة فسنكون معاً .. لا أقول أنني
مجنون بحبك لأن مثلي لا يستطيع الحب أن
يسلبه لبه و لكن أقول أنني أدركت أخيراً
الهبة التي منحها القدر لي عندما أحببتني
و لا أريد أن أهدرها لذا لديّ سؤال واحد
و أرغب في إجابة واضحة و قاطعة الآن
و فوراً .. هل أنت مستعدة للزواج مني ؟

قرصت داليا ذراعها لتتأكد من أنها مستيقظة
بالفعل ؛ و على الرغم من أنها شعرت بالألم
إلا أنها لم تكن واثقة من أنها ترى باسل
و تسمعه بالفعل .. تلفتت حولها و كأنها تبحث
عن شيء ما قبل أن تبتعد عن باسل فجأة
و تقفز في البحر .

هتف باسل في سخط :

- هل صدقتني ؟ .. قلت من قبل أنها متهورة
و مجنونة و قد تفعل أي شيء .

ثم ابتسم مردفاً :

- و لا أدري ما الذي جعلني فجأة أعشق
تهورها و جنونها .

قفز باسل خلفها ؛ كانت تغمر رأسها في الماء
ثم ترفعه قبل أن تنتشبت بكتفيه و هو يهتف :
- ما الذي تفعلينه الآن ؟

أحاطت عنقه بذراعيها و هتفت في سعادة :
- أتأكد من أنني لا أحلم قبل أن أقول نعم ..
أحبك يا باسل و أتمنى أن أتزوجك الآن و قبل
أن تتراجع .

عانقها باسل في حرارة و هو يهتف :
- من المجنون الذي يتراجع و يهدر كل هذا
الحب ؟ .. أنا نادم على كل لحظة قد أضعتها
من حياتي و أنتِ بعيدة عني .. أحبك يا داليا
و سأشاركك حياتي .. من الآن .. و حتى آخر
العمر .